ديوان

" الشاطئ المجهول "

لصاحبه " الشهيد – بإذن الله – "

سيد قطب

الإهـــــداء

"أخي " ذلك اللفظ الذي في حروفهِ
......................رموز ، وألغــازٌ ، لشتى العواطفِ
"أخي " ذلك اللحن الذي في رنينهِ
......................ترانيمُ إخــلاص ، وريا تآلـــــــف
"أخي " أنتَ نفسي حينما أنت صورة
......................لآمــاليَ القصــوى التي لم تشارف
تمنيتُ ما أعيــا المقاديرُ ، إنّمـــا
......................وجدتكَ رمزاً للأمــاني الصوادف
فأنتَ عزائـــي في حياة قصيـــرةٍ
......................وأنتَ امتدادي في الحياة وخالفي
تخذتكَ لي ابناً ، ثم خدناً ، فيا تــرى
......................أعيشُ لألقى منكَ إحســاس عاطف ؟
على أيما حالٍ أراكَ مخلّـــــــدي
......................وباعث أيامي العِـــذاب السوالفِ
فدونكَ أشعــاري التي قد نظمتها
......................لتبقى على الأيــام رمزَ عواطفي .

.

المقدّمة

بقلم الناقد : سيد قطب.

.

تمهيـــد :

أعرف مؤلف هذا الديوان ، معرفة وثيقة عميقة ، قد لا يتأتّى لأي سوايَ أن يعرفها !
ولقد صاحبتهُ زهاء سنوات عشر أو أكثر قليلاً ، وراقبتُ خوالجهُ وسرائرهُ وخبرتُ اتجاهاته وميوله وكونتُ لي رأيا عنه ، أقرب ما يكون إلى حقيقته.
ولقد كان يشجرُ بيننا الخلاف على كثير من الخوالج والقصائد ، ولكنّا كنّا نلتقي عن قريب أو بعيد ، إلا أمرا واحداً ، لا نزال مختلفين فيه أشدّ الاختلاف ..
ذلك أنهُ راضٍ عن مجموعة هذا الديوان ، أما أنا فلستُ راضياً عنها الا بمقدار ، وما أزال أتطلع إلى مثل عليا ، كما آخذ عليه بعض انواع الضعف والخطأ ، وما يشبه الضعف أو الخطأ في بعض الأفكار وبعض الألفاظ!
وفي هذه المقدمة سأستطلع آراء الشاعر واتجاهاته ثم أذكر مآخذه وعيوبه محاولا أن لا تؤثر صحبتي الطويلة له ، والصداقة العميقة بيننا في تحليلي لديوانه.!!

،

الشعر والنظريات العلمية والفلسفية

في الفصل الأول من هذا الديوان ، وفي كثير من قصائد الفصول الأخرى ، تطالع القاريء نظريات علمية وفلسفية كثيرة ، ولكنها لم تحتفظ بسمتها العلمي وشخصيتها المحددة ، بل استحالت الى صورة من صور الشعر ، فيها موسيقيته وعليها مسحته ، ولها سحنته .
وليس هناك عداء بين الشعر وبين الفلسفة والعلم ، فليس الثلاثة أنداداً حتى يشجر بينهم العداء !
إنما الشعر أوسع مجالا من العلم ، ومن الفلسفة أيضاً ، ولن يعسر عليه – حين يبلغُ حدا مناسبا من النضوج – أن يلتهمهما جميعا ، ويعتر همادهما ، ويمثلهما غذاءً يقوي من بنيته ، وإن لم يحس بوجوده !
ولن ننكر على الشعر إلمامه بالحقائق العلمية والفلسفية فيما يلم به من حقائق أخرى تناسب طبيعته ، إلا إذا قصرنا طرق " المعرفة " على القوى الواعية في الانسان ، وهذا مبدأ لم يسلم من المآخذ ، حتى في أكثف العصور مادية وكثير من مدارس السيكولوجية الحديثة . تحسب للقوى المجهولة في النفس الانسانية حسابا كبيراً ، وفي مقدمتها " مدرسة التحليل النفسي "
وهأنذا ألخّص بعض هذه المسائل ، التي تعرض للقاريء في هذا الديوان والتي أدركها الشاعر بالإحساس والتأمل تارة ، وبالاستغراق والتجرد تارة ، فالتقت بعد ذلك بنظريات علمية وفلسفية مقررة ، واتفقت معها ، أو اختلفت ، لأنها لم تتقيد بها ، ولم تأت عن طريقها وحده .

،

الجسم والعقل والروح

القول بالتباين بين الجسم والروح قديم متداول في الفلسفة القديمة ، والشاعر ميّال إلى الأخذ بالروح العامة لهذه الفلسفة القديمة ، وإن لم يأخذ بنصوصها في الفصل بين هذين العنصرين ، وبالتحديد يرى أن هناك شيئين متميزين " جسما وروحا " ولكن بينهما اتصالا.....
أما ما يستحق الالتفات فهو أنه يفرق بعد ذلك بين القوى العقلية ، والقوى الروحية في الانسان ، وبتعبير أدق : بين القوى الواعية ، والقوى الملهمة " وليست هي الغرائز " القوى المجهولة الكنه والوظيفة ، والتي تعمل دون شعور بها ، للسمو بالانسانية !
ويرى أن العقل يستطيع أن يكفل للانسانية حياتها اليومية وما يقرب منها ولكنه يقصر عن اتصالها بالمثل العليا الغامضة وبالعوالم المجهولة ، كما يقصر عن إدماجها في الوحدة الكونية الكبرى والحقيقة الثابتة المتصلة التي تبعد عن الفواصل من أمثال " قبل وبعد / ماض وحاضر ومستقبل / أنا وغير " ... إلخ
وفي قصيدة الشاطيء المجهول وهي أولى قصائد الديوان تفصيل لهذا البحث ، كما أن فيها ظاهرة اخرى ، وهي عدم ثقة الشاعر بالقوى الواعية ، وشدة إيمانه بالروح وما يتصل بها من بداهة ، واستغراق ، وتجرد ، وصوفية...

لقد حجبَ العقلُ الذي نستشيرهُ
..................حقائق جلّت عن حقائقنا الصغرى
هنا عالم الأرواح فلنخلع الحجا
..................فنغنم فيه الخلد والحب والسحرا

،

الجسم والزمن والوحدة

القوى الروحية – عند الشاعر – هي التي تربطه بالوحدة الكونية الكبرى كما تقدم ؛ في حين تقصر القوى العقلية عن ذلك ، وهو يرى أن الشعور بالزمن ؛ نتيجة لوجود الجسم والقوى الواعية ، وأن الروح تجس بالوجود المطلق ، لا يقيده الزمن ، وبالبداهة لا يقيده المكان ..
ولذلك فهو حينما خلع الجسم وخلع الحجا في " الشاطيء المجهول " رأى أن ليس هناك " حيث " ولا " أمس " ولا " اليوم " ولا " الغد " ولا " غير " ولا " أنا ... " إلخ
ولكنه رأى " الأزمان كالحلقة الكبرى " ورأى " الوحدة التي احتجبت سرّا " ، وكذلك في قصيدة " الليلات المبعوثة " حين تجرد ، لم ير للزمان معلماً ولا رسما ورأى كل شيء كرمز الدوام .
وقد يكون لهذا الاحساس علاقة بنظرية النسبية لآينشتين ، كما قد يكون له علاقة بنظريات التصوف الاسلامي ولكنه الإحساس المستقل للشاعر ، الذي يشعر به ، ويكرره في كثير من قصائده
ويبدو شعوره بالوحدة الكونية بشكل واضح في قصيدة " الانسان الأخير " ، حين يستيقظ والكون قد خلا من الأحياء
ففي نفسهِ ما يشبهُ الموتُ سكرةً
..................ومن حولهِ موتٌ نمتهُ المقابرُ
وفي نفسهِ من مثلها كل ذرّةٍ
..................فهاتيكَ أشـــلاءٌ وهذي خواطرُ

وفي قصيدة " خبيئة نفسي إذ يقول :

خبيئة نفسي في ثناياك معرض
...................لما لقيتهُ الأرض في الجولان

وإنك طلسم الحياة جميعها
..................وصورتها الصغرى بكل مكان

ويبدو شعوره بوحدة الانسانية في مواضع كثيرة .. منها أن يجعل الإنسان الأخير يحاول كشف أسرار الغيب إكمالا للجهاد الإنساني لهذه الغاية

فيا ليتهُ يدري بما خلف ستره
....................فيختم سفر الناس في الكون ظافرُ

وفي قصيدة التجارب ، يبدو إيمانه بوحدة الشعور فقد صوّر شقيا وهبَ ماضيا سعيداً ، فلم يطق عليه صبراً وعاد إلى ماضيه الشقي توحيداً لشعوره !

،

الإحساس بالزمن ومحاولة الخلود

تبدو ظاهرة تستحق الالتفات في شعر هذا الديوان ، فكثير منه يدل على إحساس متيقظ بالزمن ومروره والأسف على انقضائه ، والتنبه إلى قصر الحياة ومحاولة خلودها أو امتدادها على الأقل
ويملأ الاحساس بالزمن كثيراً من فصول الديوان المختلفة ، ففي فصل " الظلال والرموز " يبدو هذا الإحساس في أشدّه في قصيدة " البعث "

هكـــذا عشتُ كسكّان القبور
.................في ربيع العمر في العهد النضر
آه لو أسطيع للماضي الحسير
..................رجعة من بعد ما جاء .. ومرّ!

كنت أحييهِ كما يحيا الشبـــاب
...................نابضـــاً بالحـــب ، جياش الأماني!
ممسكاً أهدابهُ خـــــوف الذهاب
.....................مستعزّا فيه حتى بالثــــــواني !

وفي فصل " الصور والتأملات " تجدهُ جازعاً آسفاً أنه " مرّ يوم " من حياته .

لم يكن فيه حيـــاة أو أمل *** أو تمتّع !
وهو حسوبٌ علينا في الأجل *** فهوَ أضيع !

وكذلك تجدهُ ينادي ليلات الريف في لهفة " إيه ليلاتنا ، اخلدي ، لا تغيبي ! "

وفي فصل " الغزل والمناجاة " تجدهُ يتحدث عن الحياة الغالية فيقول :

واليوم آســف للدقائق تنطوي
.....................من عمري الغالي الثمين الطيبِ
واليوم أرقبها وأرقب خطوها
....................فأعيشها مثلين بعد ترقبــــي !

وفي مواضع أخرى كثيرة ..
وليس غريبا ، أن تلمح اعتزازه بالماضي ، وأسفه عليه متفشيا في معظم فصول الديوان ، فهو تتمة لهذا الإحساس الغريب بالزمن .
وهو لهذا يحاول الخلود ، ويسلك إليه طرائق شتى ، فتاة يعتصم بالحب

وغناء عن الخلود غرامُ ** هو رمز ووصلة للبقاءِ

وتارة يلجأ إلى الريف لأن مظاهر الدوام والاستقرار فيه ، تخفف حدة الشعور بمرور الزمن

يا ريف فيك من الخلود أثارة
.....................تنسابُ في خلدي وفي أوهـــامي

فإذا أعياه ذلك ، وأعيا طبيعة الخلق ، فهو يتعزى بأخيه ، ويهدي إليه الديوان لأنه امتداده في الحياة

تمنيتُ ما أعيا المقاديرُ إنما
....................وجدتكَ رمزاً للأماني الصوادف
فانت عزائي في حياة قصيرة
...................وأنتَ امتدادي في الحياة وخالفي

،

المجهول

يملأ الشغف بكشف " المجهول " والحديث عن " السر " حيزاً كبيرا من الديوان ؛ ويمد جناحيه على حيز آخر .
ومن هنا جاء اسمه
ولعلها نحاولة من محاولات الخلود ، أو تعميق الحياة و تمديدها ، بمعرفة عوالم و مصائر مجهولة ، يضيّق الجهل بها افق الحياة
أم لعلها نتيجة للفصل بين أجزاء الكون والحياة بهذا الجسم الذي لا بد له من الفواصل والحدود مع شوق القوى الروحية إلى العوالم المجهولة التي حجبها الجسم والقوى الواعية.
وعلى أي حال .. فالحديث عن المجهول يأخذ صورا متعددة ويشغل مكانا كبيرا من اهتمام الشاعر ، حتى لقد يلح عليه في فصل " الغزل والمناجاة " في قصائد كثيرة ..

.

ملكة التصوير وروح القصص

يتبيّن للناقد أن الشاعر في هذا الديوان يقف موقف المصور في كثير من القصائد ؛ حتى لا تكاد تخلو قصيدة من تصوير ..
وقد يزيد على الصورة الصامتة في كثير من الأحيان حركة نابضة ؛ والأمثلة على ذلك في " الشعاع الخابي "و " خراب والصحراء والانسان الأخير وخريف الحياة والجبار العاجز وناحت الصخر " لا .. بل الأمثلة هي هذا الديوان كله ، فهو متحف صور قبل أن يكون قصائد شعر ، ولكن أي تصوير ؟
إنه التصوير الهاديء الغامض فالهدوء و الغموض هما اللذان يثيران في الشاعر خاطر التصوير ، بل خاطر التعبير وهو يهرب من الضجة كما يهرب من الوضوح ، فإذا اضطر لملابستهما فهو يعيش فيهما ولكن لا يعبر عنهما
ولقد لاحظت أن ألوان ملابسه جميعاً تتفق مع هذا الميل وكذلك ألوان الأزهار التي يألفها والمناظر التي يفضلها ، وهو مصور حسّي في بعض الأحيان كما قد يصور الحركات الفكرية ويجسمها ، أو الخواطر النفسية ومنها ما يجول في نفسه هو .. فتعجب لهذا " الوعي الفني " الذي يستطيع معه تصوير خلجات نفسه تصوير " المنتبه " لها في حركتها الداخلية المستمرة كما في " خبيئة نفسي ،والنفس والنفس الضائعة والغد المجهول و .. غريب " وسواها ..
وكذلك تجد روح لقصص واضحة ومتفشية في كثير من المواضع ، وهو يرمز للفكرة بقصة صغيرة ، أو حوار كما في " التجارب " و " في الصحراء " أو يجعل بعض القصيدة قصصا لتوير موقف من المواقف .

،

موسيقية الديوان

منذ عهد قريب جدا ، كشفت عن ظاهرة تستحق التسجيل ، ذلك أن لونا من ألوان الموسيقى يتفشّى في هذا الديوان كله ، على اختلاف أوزانه وموضوعاته .
ويجب قبل الحديث في هذا ، أن أذكر أن موسيقى القصيدة غير وزنها ، فالوزن يتحقق بأي الألفاظ ، ولكن الموسيقى كما تعتمد على الوزن تعتمد على الألفاظ والتراكيب الخاصة.
هذه هي الموسيقى السمعية ، ولكن هناك موسيقى أخرى أرقى وهي الموسيقى الفكرية ، ثم الموسيقى الروحية ..
وتحقق الأولى بالوزن والألفاظ ، والثانية بتسلسل الفكرة وتلائم أجزائها ، والثالثة بالجو العام الذي يحس به القارئ للقصيدة . وما من شك في ان جوّا نفسيّا خاصا يحف بالقارئ دون أن يحدد أسبابه .
وهذه الموسيقى الروحية هي التي أعني أنها واحدة في الديوان ، وهي من لون واحد . لون الموسيقى الصعيدية ! ، موسيقى أولئك " الصعايدة " الغرباء ، وهم يرتلونها في نغم رتيب ، فيه شجو وفيه ألم ، وفيه حنين . ولكن فيه كذلك رجولة وخشونة وروعة .
وتعليل هذا من الوجهة العلمية سهل . ونظرية " العقل الباطن " تفسرهُ فقد اتسقت هذه الألحان في نفس الشاعر وهو طفل في " موشا " وهي قرية من قرى " اسيوط " وهو يقول عن هذا الريف :
إني فقدتك في الطفولةِ غافلاً
.....................عمّـــا حويتَ من الوجود السامي
لكن وجدتك إذ كبرتُ بخاطري
.....................رمزاً أحيطَ بغمرة الإبهــــام !

،

التعبير

تبدو في هذا الديوان ، صورة واضحة للتعبير الدقيق المصور للأفكار ؛ وأضرب مثلاً لذلك بقصيدة " في الصحراء " فهناك نخلة ملت الحياة التي لا تعرف سرّها " يرمز بها إلى الأحياء جميعاً " فهذه النخلة تقول لأختها:
منذ ما أطلعتُ في هذا الخراب
....................وأنا أسألُ : ما شأني هنا ؟
ولو قال " ما طلعت " لذهبت قيمة التعبير المصور لحالة هذا النخلة التي أرغمت على الحياة " فأطلعت " دون ارادتها ، ولم " تطلع " هي بمشيئتها . ومثل هذه الدقة كثير في هذا الديوان
إلا أن هذا لا ينفي أن هناك ضعفاً في بعض التراكيب وخطأ في بعض الألفاظ وإن تكن معدودة.
والذي يستحق التنبيه أن هناك جرأة في الاشتقاق ، قد تؤدي إلى الفوضى ، وقد يستغلها العاجزون في اللغة استغلالا !...

،

خاتمة ..

وبعد .. فهناك مباحث طويلة عن بقية فصول الديوان لا تتسع لها المقدمة ولا سيما فصل " الغزل " وفصل " الوطنيات " أتركها للقرّاء .
ثم أنبّه إلى أن هذا الديوان ، قصـــائد مختارة من مجموعة شعر الشاعر معظمها من إنتاجه في عام 1934 ، أما بقية القصائد فقد حال تضخم هذا الجزء دون نشرها وستنشر في مجموعات أخرى..

.

]ظلال ورمـــوز]

،

"إلى الشـــاطئ المجهول " / 1934

تطيفُ بنفسي وهيَ وسنانةٌ سكرى

................هواتفُ في الأعماق ساريةٌ تترى

هواتفُ قد حجّبنَ ؛ يسرينَ خفية

...............هوامسُ لم يكشفنَ في لحظة ستراً!

ويعمُرنَ من نفسي المجاهل والدجى

.................ويجنبن من نفسي المعالم والجهرا

فيهنّ من يوحينَ للنفس بالرضـــا

..................وفيهن من يلهمنها السخط والنكرا

ومن بين هاتيك الهواتف ما اسمهُ

.......................حنينٌ ، ومنهنّ التشوق والذكرى

***

أهبن بنفسي في خفوتٍ وروعةٍ

................وسرنً بهمس ، وهي مأخوذة سكرى

سواحر تقفوهنّ نفسي ولا ترى

................من الأمر إلا ما أردنَ لها أمرا

إلى الشــاطئ المجهول والعالم الذي

...................حننتُ لمرآهُ ؛ إلى الضفة الأخرى

إلى حيث لا تدري .. إلى حيثُ لا ترى

..................معالم للأزمان والكون تستقرا

إلى حيث " لا حيث " تميز حدوده !

..................إلى حيث تنسى الناس والكون والدهرا

وتشعر أن) الجزء) و (الكل) واحد

...................وتمزج في الحس البداهة والفكرا

فليس هنا (أمس) وليس هنا (غد (

...................ولا (اليوم) فالأزمان كالحلقة الكبرى

وليس هنا (غير) وليس هنا (أنا (

...............هنا الوحدة الكبرى التي احتجبت سرا

***

خلعتُ قيودي وانطلقتُ محلقاً

..................وبي نشوة الجبار يستلهم الظفرا

أهوّم في هذا الخلود وأرتـــقي

.................وأسلك في مسراهُ كالطيف إذ أسرى

وأكشف فيه عالما بعد عالم

..................عجائب ما زالت ممنعة بكراً

لقد حجب العقل الذي نستشيرهُ

...................حقائق جلت عن حقائقنا الصغرى

هنا عالم الأرواح فلنخلع الحجا

.....................فننعم فيه الخلد ، والحب ، والسحرا

.

الشعاع الخابي/1932

لاحَ لي من جانب الأفق شعاع

............بينما أخبطُ في داجي الظلام

في صحارى اليأس أسرى في ارتياع

.............حيث تبدو موحشات كالرجام

،

حيثُ يسري الهول فيها واجما

ويطوف الرعب فيها حائما

والفناء المحض يبدو جاثما

،

وترى الأشباح في رأس التلاع

...............كالسعالى ، أو كأشباح الحمام

فاغرات تتشهّى الابتـــــلاع

............تنهش اللحمَ ، وتفري في العظام

***

فتلفّتَ على الضـــوء يلوح

..........مثلما تلمعُ عينُ الساهرِ

أو كما تهمس في الأجداث روح

...........أو كمعنى شاردٍ في الخاطرِ

،

قد تلفتّ بقلب مستطار

شفّه الذعر وأضناه العثار

طالما رجّى تباشير النهار

،

ثم أزمعتُ إلى الأفق الصبوح

.............أرتجي فيهِ أمــان الحائرِ

أصعد الرابي وأهوى في السفوح

..............وكأني طيف جنّ نافر

***

ثم ماذا ؟ ثم قد ساد الحلك !

................فجأة والقبس الهادي خبا

ثم أحسست بدقات الفلك

................لاهثات تتراخى تعبا!

،

رجفةُ الخائف أضناهُ العياء

وهو يعدو لاهثاً عدو الطلاء

قبلما يلحقها غول الفناء

،

وإذا قلبي خفوق منتهك

..............ليس يدري لخلاص سببا

حولهُ الظلمةُ في أيّ سلك

.................حيث ينسى الهاربون الهربا

***

قلتُ ماذا ؟ قال لي رجع الصدى

.................إيه ماذا ؟! قلتُ للوهم علاما !

قال لي اخشع أنت في وادي الردى

..................حيث يطوى الضــوء طرا والظلاما !

،

ها هنا تثوي الأماني ، ها هنا

في مهاوي اليأس في كهف الفنا

كل شيء هالك ، حتى أنا !

،

ثم ضاع الصوت يفنى بددا

...............وتلاشى تاركا منه التماما

وإذا بي عدت أسري مفرداً

................لا أرى شيئاً ، ولا أدري إلاما ؟ !

.

خراب...! /1932

،

أقفرت شيئاً فشيئاً كاليباب

..........غير آثار من النبتِ الهشيم

باقيات ريثما يسفى التراب

.............فإذا الكون خــلاء في وجوم

***

كان ينمو هاهنا نورٌ صغير

.............فوق نبت ليّن العود هزيل

فذوى النور وما كان نضيرا!

...............إنما المُعدم يرضى بالقليل

***

زهرةٌ في إثر أخرى تحتضر

............وهو يرنو ذاهلا للزهَرات

ملقيات حوله بين الحُفر

................والرياح الهوج تدوى معوِلات

***

وإذا الكون حواليهِ خراب

...............موحش الأرجاء مفقود القطين

وهو يرنو في وجوم واكتئاب

.................يكتم العبرةَ فيه والأنين !

***

ويدوّي حوله صوت الفناء

...............حيث تمحى كل آثار الوجود

أين ؟ - لا أين ! – الأماني والرجاء

................طمـــسَ اليأس عليها والكنود !

.

في الصحراء / 1932

:في ليلة من ليالي الخريف المقمرة ، الراكدة الهواء ، المحتبسة الأنفاس ، وفي صحراء جبل المقطم الموحشة ، وبين هذا الفقر الصامت الأبيد – كانت تتراءى نخلات ساكنات في وجوم كئيب ومن بينها نخلتان : إحداهما طويلة سامقة ، والأخرى صغيرة قميئة.... ..

بين هاتين النخلتين دار حديث ، وكانت بينهما همسات ومناجـــاة !

،

الصغيـــرة :

ما لنا في ذلك القفرُ هنا

.......ما برحنـــا منذ حين شاخصات ؟

كل شيء صامت من حولنا

.............وأرانـــا نحن أيضاً صامتات !

،

تطلع الشمس علينا وتغيب

ويطل الليل كالشيخ الكئيب

والنجوم الزهر تغدو وتثوب

،

وهجيرٌ وأصيل ... وطلوعٌ وأفول ... ثم نبقى في ذهول ساهمات !

****

أفلا تدرين يا أختي الكبيرة

............ما الذي أطْلَعنا بين اليباب ؟

أيمّا إثم جنينا أو جريرة

............سلكتنا في تجاويف العذاب ؟

،

قد سئمتُ اللبث في هذا المكان

لبثة المصلوب في صلب الزمان

أفما آن لتبديلٍ .. أوان ؟

،

حدثيني لمَ نشقى ؟ ... حدثيني كم سنلقى ؟ .. حدثيني كم سنبقى / واقفات ؟

.

الكبيـــرة :

أنا يا أختاهُ : لا أدري الجـــواب

...........ودفينُ السر لم يُكشف لنا

منذ ما أطلعتُ في هذا الخراب

............وأنا أسألُ : ما شأني هنا ؟

،

فيجيب الصمت حولي بالسكون !

وأنا أخبط في وادي الظنون.

لستُ أدري حكمة الدهر الضنين

،

غيرَ أنّا حائرات ... والليالي العابثات .. تتجنّى ساخرات / لا هيات !

***

ربما كنّا أسيرات القدر

...........تسخر الأيام منا والليالي !

تضرب الأمثال فينا والعبر

..........وإذا نشكو أذاها لا تبالي !

،

ربما كنا مساحير الزمن !

قد مسخنا هكذا بين القنن

في ارتقاب الساحر المحيي الفطن !

،

فإذا كان يعود ... فك هاتيك القيود ... فرجعنا للوجود / طافرات !

***

أو ترانا نسل أرباب قدامى

..............قد جفاها وتولى العابدون !

جفت الكأس لديها ، والندامى

...............غادروا ندوتها تنعى القرون

،

أو ترانا مسخ شيطان رجيم

صاغنا في ذلك القفر الغشوم !

وتولى هاربا خوف الرجوم !

،

فبقينـــا في العراء ... يجتوينا كل راء ... وسنبقى في جفاء / شاردات !

****

لستُ أدري : كل شيء قد يكون

..............فتلقى كل شيء في سكون

وإذا ما غالنا غول المنون

..............فهنا يعمرنا فيض اليقين !

،

ثم ساد الصمــت كالطيف الحزين

وتسمعت لأقدام السنين

وهو تخطو خطوة الشيخ الرزين

هامسات في الرمال .. منشدات في جلال .. كل شيء للزوال / والشتات !

.

الإنسان الأخير / 1934

صحا ذات يوم حين تصحو البواكرُ

..............وتستيقظ الدنيا وتجلو الدياجرُ

ويشرقُ وجه الصبح في غمرة الدجى

............كما تشرقُ الآمال واليأس غامرٌ

وتضطربُ الأنفاسُ خفّضها الكرى

............وتخفق أرواح وتذكو مشاعرُ

وحين يعج الكون بالصوت والصدى

............وبالكدح تزجيه المنى والمخاطرُ

وبالصرخة الهوجاء والضحكةُ التي

.............يضج بها الأحياءُ والدهرُ ساخرُ

***

ولكنهُ لم يلفِ بالكون نأمة

...........تنم على حيّ ، ولم يهــفُ خاطرُ

ففي نفسهِ ما يشبهُ الموت سكرة

.............ومن حوله موتٌ نمتهُ المقابرُ

جلال كأن الله أطلع وجههُ

...........عليهِ ، فقرّت في النفوس الضمائرُ

وصمتٌ فما في الكون صوت ولا صدى

..........ولا خفقةٌ يُحيي بها الكون شاعر

فأدرك في أعماقهِ عن بديهة

............نـهاية ما صارت إليه المصائر !

***

وما همّ بالتنقيب عن أي صاحبٍ

.............ففي نفسهِ يأسٌ من النفسِ صـــادرُ

ولكنهُ ألقى بها عبر نظرة

............على الكون والأيام وهي دوائرُ

ركامُ وأشلاء وأطلال نعمـــة

............وبؤسٌ ، وشتّى ما حوتهُ الأداهر

وفي نفسهِ من مثلها كل ذرة

................فهاتيك أشلاء وهذي خواطرُ

تجمّع فيها ما تفرق في الورى

.............وما ضمنت تلك السنون الغوابرُ

خلاصةُ أعمارٍ وشتى تجاربٍ

...........ومجمع أشواق بها الكون حائرُ

***

وأوغلَ في إطراقةٍ ملؤها الأسى

..........فمرّت عليه الذكريات العوابرُ

تحث خطاها موكبا إثر موكبٍ

............وقد جاورت فيها المآسي البشائرُ

وأقبلت الآمالُ واليأس حولها

...............تمزقها أنيابهُ والأظافرُ

وجمّع فيها الخير والشر رابط

...............من النفس مشدود إليها مخامرُ

وشتى عبادات وشتى عقائد

.............يؤلفها الإيمان وهي نوافرُ !

وفيها من المجهول سرٌ وروعة

................ورغبة محروم وخوف مساورُ

وقد كان في المجهول مطمح كاشــف

................تحجّبه عن طالبيه الستائرُ

فيا ليته يدري بما خلف سترهُ

.............فيختم سفر الناس في الأرض ظافرُ !

***

وعادت له الآمالُ إذ جدّ مطمح

.............يرجى ، وأذكاه الخيال المغامرُ

لعل وراء الكون مفتاح لغزه

............وطلسم ما ضمت عليه السرائرُ

وما هي إلا ومضةٌ تكشف الدجى

...........ويخلع هذا الجسم والجسمُ جائرٌ

ولولا مواثيق الحياة تشدّهُ

.............إليها لأمضى عزمهُ وهو صابرُ

وخلّف هذا الجسم للموت والبلى

...........وأشرق روحاً حيث تصفو البصائرُ

وعاودهُ حب الحياة لذاتها

................وقد أجفلت تلك النوازي الكوافرُ

وهاجت به الأطمـــاع حب امتلاكها

...............له وحدهُ والناس ميت وداثرُ

فعاد إلى الدنيا العريضة مالكاً

..............ولا من يلاحيهِ ولا من يشاطرُ

ولكنه لم يستطب ملكهُ الذي

................تمحص لا يسعى به أو يغامرُ

وما فيه من كدّ ولا من تسابقٍ

.............ولا سابق في الكادحين وقاصرُ

وكيف يطيب العيشُ إلا تزاحماً

..............فيربحُ مجدود ، ويخسرُ عاثرُ !

***

"برمتُ بهذا الكون همدان موحشاً:

برمتُ بملكٍ ربهُ (1 (فيه خاسرُ "...........

"فهيّا إذن للموت أروح رحلة

لتكشف أستار ويهدأ ثائرُ ! "...........

***

وفيما يعاني سكرة الموت هينمت

إلى مسمعيه هاتفات سواحرُ...........

"هو السر أن تهفو إلى السر لهفة

وأن تشتروا الآتي بما هو حاضرُ ! "...............

=(1)صاحبهُ ...

.

خريف الحياة / 1934

بكَر الخريف فلا ورود ولا زهور

ومشى الركود فلا نسيم ولا عبير!...........

صمتت صوادحها فما تشدو الطيو

.............ر بها ، وما تشدو الجدوال بالخرير !

وسرى القفار بكل مخصبـــة فما

...............تجد الخصيب بها ، وما تجد النضير !

والسحب طافية تغشّى كالستور

..................وتسير وانية والخطى سير الأسير

فإذا الحياة يغض رونقها الأسى

.................وإذا القلوب بها كليم أو كسير !

***

والحب! ويح الحب من هذا البكور

................غامت عليه سحابة اليأس المرير

وذوت بجنتهِ أفانين المنى

.................وخبا بهيكل حسنهِ القبس المنير

وسها عن التقديس والتسبيح في

..................محرابه العباد مسحورو الدهور

ومشوا بساحته كما يمشي الخلي

................من الغرام فلا حنين ولا شعور

هانت شعائره ومس ستورهُ

.............في جرأة ، غير المقدس والطهور!

***

الأرض غير الأرض في دورانـها

...........لتكاد من فرط السآمة لا تدور !

والريح غير الريح في جولانـها

..............لتكادُ تكتم في جوانحها الزفير

والطيرُ غير الطير في ألحانـها

..........لتكاد تنعب بالخراب وبالثبور !

والناسُ غير الناسِ في آمالهـــا

..............ليكاد يجثو اليأس في تلك الصدور !

بكَر الخريفُ فويلهُ هذا البكور
...............ودنا المصير فويلهُ هذا المصير !

.

خبيئةُ نفسي /1934

خبيئة نفسي قد غفا الكون فاسفري
..............وكوني سميري ، بعد أن نام سَمَّري !
سها الدهرُ والأقدار رنّقها الكرى
..............وهوّم في جوف الدجى روح خيّر !
يُطيفُ على العانين بالعطف والرضا
................ويعمر بالإغفــاء رأس المفكّر
وينتظمُ الدنيا هدوءاً كأنها
...............عوالم في وادي المنى لم تصوّر
فلا صوت إلا خفقة من جوانحٍ
...............كما خفقت للضــوء عين المصور
ولم يبق من تلك الحياة وأهلها
...............سوى طيفها الساري بوادي التذكّر

***

خبيئة نفسي من عهود سحيقة
...........ومن جوف آباد مضت قبل مولدي !
أحسك في أغوار نفسي ولا أرى
...............محيّاك إلا كالخيال المشــرّد !
علمتك حتى أنت منّيَ بُضعةٌ
...............جهلتكِ حتى أنت في غير مشهدِ!

ويا طالما أخلفتِ لي كل موعــد

..............ويا طالما ألقاك في غير موعدِ !

عجبتُ فكم من نفرةٍ تنفرينها

.................على فرط ما تبدينهُ من تودد!

حديثك من نفسي قريبٌ، وإنمــا

...............أخالك في واد من التيه سرمد

***

خبيئة نفسي ، ما ترى أنتِ ؟.. إنني

...............أريدك في جو من الضــــوء معلم

أ عنصرك الإيمان والطهر أصلهُ ؟

.............وإلا إلى الكفران والرجس منتمِ ؟

وفي أي وادٍ أنت تسرين خلسة ؟

................ومن أي عهد في الجهالات مبهم ؟

وكم فيك من نصر ؟ وكم من هزيمة ؟

..............تجاورتا في حشدك المتزحّم ؟

وكم فيك من يأس ؟ وكم فيك مأملٌ ؟

...............وكم من تردّ ، أو وثوب تقحّمِ

وكم فيك من حب ، وكم فيك بغضــة ؟

..............ومن رشد إلهــام إلى خبط مظلم !

***

خبيئة نفسي في ثناياكِ معرضٌ

............لما لقيَتهُ الأرض في الجولان

وفيك من الآباد سر وروعةٌ

..........وفيكِ صراعات بكل زمان

وفيك التقى الإنسان من عهد خلقهِ

............وفيك التقى الروحيّ والحيواني !

وأنكِ طلّسم الحياة جميعها

...............وصورتها الصغرى بكل مكان (1)
أبيني إذن عن ذلك العالم الذي
.................تضمنتهِ من صورة ومعــاني
أبيني أطالع في ثناياك ما مضى
.................وما هو آت من رؤى وأمان !

.

---

(1)منظور في هذا البيت لقول العقاد
تماثيل مصر أنت صورتها الصغرى
..............وطلسمها الواقي وآيتها الكبرى !

النفس الضـــائعة / 1934

أئنّـــي أنا ؟ أم ذاك رمزٌ لغابرِ
..............لأنكرتُ من نفسي أخصّ شعائري !
لأنكرتُ إحساسي وأنكرتُ منزعي
.............وأنكرتُ آمالي ، وشتّى خواطري
وأنكرتُ شعري : وهو نفسي بريئةٌ
................ممحضة من كل خلطٍ مخامرِ
وتفصلني عما مضى من مشاعري
...........عهــود وآباد طوال الدياجرِ !
وأحسبها ذكرى ، ولكنّ بُعدها
............يخيل لي : أن لم تمر بخاطري !

***

أنقبُ عن ماضيّ بين سرائري

.................فألمحهُ كالوهمِ ، أو طيف عابرِ

أعيشُ بلا ماضٍ كأنيَ نبتةٌ

..................على السطح تطفو في مهب الأعاصر

وما غابرُ الإنسان إلا جذورهُ

................فهل تمّ نبتٌ دون جذرٍ مؤازر ؟

وقد يتعزّى المرء عن فقد قابلِ

.................فكيف عزاء المرء عن فقد غابرِ ؟

***

أنقب عن نفسي التي قد فقدتها

..............بنفسي التي أحيا بها غير شاعرِ !

وأطلبها في الروض إذ كان همها

..............تأمله يفضي بتلك الأزاهر

وفي الليل إذ يغشى ، وكانت إذا غفا

...............تيقّظ فيها كل غاف و سادر!

وفي الليلة القمراء إذ تهمس الرؤى

................وتومئ للأرواح إيماء ساحرِ

وفي الفجر والأنداء يقطرن والشذى

.................يفوح ، ويشجى سمعَهُ لحن طائر

وفي الحب إذ كانت شواظا وحرقة

...............ومهبط آمال ومطمح ثائر

وفي النكبة النكباءُ والغبطة التي

...............تجود بها الأقدار جود المحاذرِ

ولكنني أيئستُ أن ألتقي بها

...................وتاهت بواد غامر التيهِ غائر

سأحيا إذن كالطيف ليست تحسه

...................يدان ولا يجلوهُ ضـــوء لناظرِ !

الغد المجهول /1934

يا ليت شعري ما يخبئهُ غدي ؟

.................إني أروح مع الظنون و أغتدي!.

وأجيل باصرتي بها وبصيرتي

...............أبغي الهدى فيها وما أنا مهتد!

حتى إذا لاح اليقينُ خلالها

...............أجفلتُ من وجه اليقين الأسود !

وأشحتُ عنه ولو أطقتُ دعوته

............وطرحتُ عني حيرتي وترددي !

فكأنني الملاح تاهَ سفينهُ

.................ويخاف من شطّ مريب أجرد !

***

ماذا سيولد يوم تولدُ يا غدي ؟

..............إني أحس بهول هذا المولـــد !

سيصرّح الشك الدفينُ بمهجتي

..................فأبيتُ فاقد خير ما ملكت يدي !

ستروع من حولي عواطف لم تزل

................تَضفي عليّ بعطفها المتودد

ستجف أزهار يفوح عبيرها

...................حولي ، وينفحني بها الأرج الندي

والمشعل الهادي سيخبو ضوءهُ

.................ويلفني الليل البهيمُ بمفردي !

***

ماذا تخلف يوم تذهبُ يا غدي ؟

............لا شيء بعد الفقد للمتفقد !

ستخلف الأيام قاعا صفصفاً

..............تذرو الرياح بها غبار الفدفد

لا مرتجى يُرجى ، ولا أســف على

...........ماض يضيع كأنه لم يوجد !

أبدا ولا ذكرى تجدد ما انطوى

............حتى التألم لا يعود بمشهدي !

رباهُ إني قد سئمتُ ترددي

.........فالآن ، فلتقدم بهولك يا غدي !

.

.

غريب ..! / 1934

غريبٌ .. أجل أنا في غربة

...............وإن حفّ بي الصحبُ والأقربون

غريب بنفسي وما تنطوي

...............عليه حنايا فؤادي الحنون !

غريبٌ وإن كان لمّا يزل

..................ببعض القلوب لقلبي حنين

ولكنها داخلتها الظنون

...............وجاور فيها الشكوك اليقين

غريبٌ فوا حاجتي للمعين

................ووا لهف نفسيَ للمخلصين

***

أكادُ أشارف قفر الحياة

.................فأشفق من هوله المرعبِ

هنالك حيث ركام الفنــاء

..............يلوح كمقبرة الغيهــبِ

هنالك حيث يموت الرجــاء

..............وتثوي الأمانيَ كالمُتعبِ

فأرجع كالجازع المستطار

................أرجّي أماني في المهرب !

ولكنهُ مقفرٌ أو يكاد

................فا للغريبِ ..، ولم يغرب ؟

.

بين الظلال / 1934

يا ذكرياتي البعيدة ؛؛ في عالم الأشبــاح

يا أمنياتي الشريدة ؛؛ في عالـــم الأرواح

إليّ قبل الصبــاح

إليّ من كل صــوب ؛؛ في عزلتي وانفرادي

فهينمي (*) حول قلبي ؛؛ ورفرفي في فؤادي

فأنتِ وحيي وزادي

غفلتُ يا ذكرياتي ؛؛ عن وحيكِ القدسيّ

بين اصطخاب الحياة ؛؛ بكل صوت دويّ

وكل جأر قوي !

سهوتُ يا أمنياتي ؛؛ عن النداء الخفي

إلى مراقي الحياةِ ؛؛ إلى الخلود النقي

بحاضر مأتيّ !

يا ذكرياتي البعيدة ؛؛ في عالم الأشباح

يا أمنياتي الشريدة ؛؛ في عالم الأرواح

إليّ قبل الصباح!.

***

الليل أرخى ستوره ؛؛ في هدأة كالخلود

والبدر أرسل نوره ؛؛ كبسمة من وليـــد

راضي المحيّا سعيد

وخفض الكون خفقا ؛؛ قد ضرمته الليالي

وعاد يهمس رفقا ؛؛ بذكرياتي الخوالي!

وأمنياتي الغوالي

وجدت نفسي وكانت ؛؛ ضاعت ضياع الإياس

ورُضت نفسي فلانت ؛؛ من بعد طول الشماس

وبعد صعب المراس !

ورفرفت ذكريات ؛؛ أثرن قلبي حنيناً

ونضّرت أمنيات ؛؛ ذبلن كالزهر حينا

فيا لصنع السنينا ..

.

يا ذكرياتي البعيدة ؛؛ في عالم الأشباح

يا أمنياتي الشريدة ؛؛ في عالم الأرواح

إليّ قبل الصباح

فالفجرُ في الكون لاح

والصبح يذكي الصياح

،

فأقبلي في انفرادي ؛؛ ورفرفي في فؤادي

—

(*)الهينمة : الصوت الخافت

.

عودة الحيـــــاة / 1932

عجبٌ خفقكَ يا قلبيَ في

............هذه الأضلع من بعد الخفوت !

أ و مـــا زلت إذن لم تشتفِ

.............من حنين فيك حيّ لا يموت ؟

***

أ و ما زال إذن نبع الحياة

..........لم يغُض فيك ولم ينضب معينه

ربما فاض على تلك الفـــــلاة

.............في فؤاد مقفر جفّــت غصونه !

***

طال عهدي أيـها القلب بـه

...............ذلك الخفق الذي ذكّــرتنيـه

ذلك الخفق الذي لا ينتهي

...............حيث يسري الشعر كالتيار فيه

***

كم ربيع مرّ يتــلـوه ربيع

............وفؤادي في خريفٍ راكــدِ!

هامدُ الإحساس جاثٍ بالضــلوع

...........في حيــاة ذات نمطٍ واحــد

***

وحرمت الحس ، حتى بالألم

...............والندى حتى بتسكاب الدموع

إيهِ ما أقفرَ إحســاس العدم

............والأماني راكدات في القنـــوع

***

هات يا قلب من النبض القوي

..............وتفتّـــح كل يوم عن جديد

لم يزل في جعبة الكون الغني

................ما يغذيك بأحـــلام الوجود

***

وإذا لم تستطع فاخلق حياةً !

..............من شخوص الوهم أو طيف الأماني

ومن الحب ، وما صاغت يداه

................من جحيم يتلظى أو جنان !.

.

البعث / 1932

قد بعثتُ اليوم أحيا من جديد

..............فهو بعث من حياة خامدة

مر نصف العمر أو كاد يزيد

.................لهف نفسي – في حياة راكدة

،

في حياة لم أجد فيها حياة!

بلغَ العقم بها أقصى مداه

وتبدت بلقعاً مثل الفلاة

،

ثم لاحت تتراءى من بعيد

...............شعلة من نار حب واقدة

تلهب الحس وتستوحي القصيد

..................والأناشيد العذاب الخالدة

***

شاعر قد صيغ من فيض الشعور

.............ملهم الفطرة منهوم النظر

نابض بالعطــف حساس الضمير

..............يدرك الهمسة تسري في حذر

،

كيف يحيا – وهو هذا – في عماء

مغلق الإحساس مطموس الرجاء

مقفرا كالكهــف محجوب الضياء ؟

،

هكذا عشت كسكّـــان القبور

..........في ربيع العمر. في العهد النضر

آه لو أسطيع للماضي الحسير

............رجعة ، من بعد ما جاء ومَر !

***

كنتُ أحييهِ كما يحيا الشباب !

............نابضا بالحب جياش الأماني

ممسكا أهدابه خوف الذهاب

................مستعزّا فيه حتى بالثواني!

،

طافراً أمرح فيه كالطيور

حينما تشدو بألحان البكور

بعدما تنفحها ريح الزهور

،

نصف عمري قد تولى في اكتئاب

...............فلأقض النصف نشوان الأغاني!

هائما ألهو بمعسول الرغاب

..................أو غني بالأمانيّ الحسان!

.

.

السر أو " الشاعر في وادي الموتى " / 1934

اعتاد الشاعر أن يتردد كثيرا على وادي الموتى في أوقات مختلفة ، أكثر ما تكون عند مغرب الشمس وقبل طلوعها !

وهو يجد في هذه الزيارات لذة غريبة ، كما يجد مجالا لتأملات غير محدودة ، ولكنها تثير فيه الشوق لمعاودتها كرة أخرى.

وفي مرة منذ سنة أعوام ، أرِق في الهزيع الثاني ، فجال بخاطره ، أن يلجأ إلى حمى الموتى ، مدفوعا بشعور غامض ، لا يبالي وحشة هذه الأماكن ، في جنح الليل المدلهمّ !

وسار خطوات ، ولكنه أحس بالرهبة ، وساوره الوجل ، وشعر كأن أصواتا من وراء الحفائر تتناجى ثو توجه إليه الخطاب

ليس للشعر يد في هذا التصوير ، فهو الحقيقة التي أحسها كما يسمع الصوت وكما ينظر المرئيات.

وقد عاد صامتا واجماً ، وبعد أن ذهب عنه الروع ، حاول أن يفسر عن طريق " الوعي والتأمل " ما دفعهُ لهذه الرحلة ، وما شعر به في أعماق نفسه.

ولقد ظل يعجز عن ذلك ، كلما حاوله ، مدى ستة اعوام .. حتى استطاع في هذا العام أن يترجم هذا الشعور شعراً ، بعد أن فقد كثيرا من روعته ، ووصل إلى الدرجة التي يُستطاع عنها التعبير !

.

من الطارق الساري خلال المقابر

................كخفقة روح في الدجنات عابر ؟

من الوجل المذعور في وحشة الدجى

................تقلبهُ الأوهام في كل خاطر ؟

يُنقّل في تلك الدياجير خطوهُ

................ويخطر في همس كهمس المحاذر؟

وقد سكنت من حوله كل نأمة*

..............سوى قلبهُ الخفاق بين الدياجرِ

وغشاه روع الموت ، والموت روعة

.................تغشى فيعنو كل نِكس وقادر؟

***

هو الشاعر الملهوف للحق والهدى

................وللسر لم يكشفهُ ضوء لناظر

تحير في سر الحياة وما اهتدى

..............إليه ، ولم يقنع بتلك الظواهر

وساءل عنه الكون والكون حائر

..............يسير كمعصوب بأيدي المقادر

وساءل عنه الموت ، والموت سادر

..............وساءل عنه الشعر في حنق ثائر

وساءل عنه كل شيء ، فلم يفز

..............بشيء ولم يرجع بصفقة ظافر !

***

أفي هذه الأجداث طلسم سرّه

..........لعل فمن يدري بسر المقابر ؟

ألم يخلع الموتى الأحابيل كلها ؟

.............أحابيل أوهام الحياة الجوائر ؟

ألم يتركوا الدنيا الغَرور لأهلها

..............ويستوثقوا مما وراء المصائر ؟

ألا تهمس الأرواح بالسر إذ سرى

.................إليها ؟ ألا تهدي اليقين لحائر ؟

أجل ! ربما تعطي الجواب لسائل

..............وربما تجلو المصير لشـــاعر !

***

وفيما يناجي في حمى الصمت نفسهُ

..............تسمّع همساً من خلال الحفائر

"من الطارق الساري خلال المقابر

..........فأقلق منّا كل غاف وساهرِ "

"أما يقنع الأحياءُ بالرحب كله ؟

..............أيا ويح للأحياء صرعى المظاهر "

"تركنا لهم دنياهمو وديارهم

................ولم يدعونا في حمى غير عامرِ"

***

وقال فتى منهم حديث قدومه

............بنغمة إشفاق ونبرةَ ساخر !

"لعل الذي قد دب في ذلك الحمى

..............وأيقظ في أحشائه كل سادر "

"أخو صبوة ، يهفو إلى قبر ميتة

............له عنده وجد وتحنان ذاكر "

يقرّبهُ منه التذكر والهوى

.................وتبعدهُ عنها غلاظ الستائر "

"وما أخدع الحب الذي في ديارهم

................يغشى على أبصارهم والبصائر "

وقالت لهم أم وفي صوتها أسى

..............ونبرة تحنان ، وكتمان صابر

"ألا ربما كانت ثكولاً حزينةً

............على فلذة من قلبها المتناثر "

"وربتما كانت عجوزاً تأيمت

..............وضاقت بدهر ناضب العون غادر

***

وقد ذهبوا في حدسهم كل مذهب

.............وفيما حوته نفسهُ من مشـــاعر !

***

وجلجل صوت الشيخ يدوي كأنما

............هو الدهرُ في صوت من الروع ظاهر

"من الطارق الساري خلال المقابر

............فأقلق منا كل غاف وساهر ! "

***

فقال أخو الأحياء والقلبُ خافق

............من الوجل الأخاذ ، في صوت حاسر

"أنا الحي لما يدر أسباب خلقه

.................أنا المدلج الحيران بين الخواطر "

"دلفت إلى وادي المنايا لعلني

..................أفوز بسر في حناياه غائر"

"أما تعلمون السر في خلق عالم

................يموت ويحيا بين حين وآخر "

"وتكنفهُ الأحداث من كل جانب

................ويركب للغايات شتى المخاطر "

"وليس له غاية غير أنه

..................مسوق إلى تحقيق رغبة قاهر "

"ضنين بما يبغيه ليس يبيحهُ

................لسائله عما وراء الظواهر"

"وماذا لقيتم بعد ما قد خلعتمو

..............قيود الليالي الخادعات المواكر ؟"

"وماذا وراء الغيبِ والغيبُ مطبقٌ

.................وهل يتجلى مرة للنواظر ؟ "

"سؤال أخي شوق ، وقد طال شوقهٌ

.................وحيرتهُ ، بين الشكوك الكوافر "

***

أريت لو ان الهول صُور منظراً

.......تجلله الأخطار جد غوامر ؟

كذلك ساد الصمت بين الحفائر

.............وران على أرواحهم والضمائر

وأذهل هاتيك النفوس فخفضت

............من البهر والإعياء دقات طافر

***

وجلجل صوت الشيخ يدوي كأنه

...................يحدّث من كون قصي المعابر !

"أيا ويلها تلك الحياة وأهلها

..................تكشف عن بلوائها كل ساتر "

"وتطلب أسباب الشقاء لنفسها !

...............فتضرب في تيه من الشك غامر "

"وتسأل عن " سر " وليست بحاجة

..........إلى السر تشريهِ بأنفس حاضر " !

"لقد أغمض الموت الرحيم جفوننا

.................وهدّأ في أفكارنا كل نافر!

"نسينا سؤالا لم يزل كل كائنٍ

..............يردده حيران في حرز " حازر ! "

"نسيناه فارتحنا من الحيرة التي

................خسرنا بها الأعمار جد نواضر "

"وهاأنت ذا تذكيه ، يا لك جائر

................ويالك مخدوعا بسر المقابر "

أريت لو ان الهول صور منظراً

................تجلله الأخطار جد غوامر ؟

كذلك ساد الصمت بين الحفائر

................وران على أرواحهم والضمائر

وأذهل هاتيك النفوس فخفضت

..............ز من البهر والإعياء دقات طافر

***

وعاد أخو الأحياء بعطو بحسرة

..............ولهفة محروم ، وإعياء خائرِ

لقد كان في الموتى وفي الموت مأمل

...............يعلله بالكشف عن كل ضامر

فألفى سرابا ثم لا ينقع الصدى

...........فوا ندما عن بحثه المتواتر !

فقد كان خيرا أن يعيش على المنى

.............ويأمل بعد الموت كشف الستائر

ويا ليت هذا الموت يسرع خطوه

................فيطوي حيّا عمره ربح خاسرِ !

.

.

سخرية الأقدار / 1929

أغلبُ الظن وقد تدري الظنون

..............أنـها ألعاب دهر ساخرِ

ماهر يهزأ بالمستهزئين

...............يبعث النكتة عفو الخــاطر !

***

وسواء أضحكَت سمّارهُ

..............أم دهتهم بالرزايا والمحــن

فهو يلقي أبدا أدواءه

................وهو لا يسأل عن ماذا ومن ؟

***

يسمع الأنات تشتق القلوب

..............صارخات كشجيات النواح

ليكاد الصخر من هولٍ يذوب

.............وهو يلقاه بهزء ومزاح !

.

.

التجارب /1934

كثيرا ما يبرم الإنسان بماضيه أو حاضره ، ويسخط على تجاربه ومصائبه .! ، وقد تصور الشاعر شقيا أعفتهُ الأقدار من ماضيه وتجاربه ، وأطلقتهٌ كأنما ولد في لحظتهِ ، ولكنه لم يستطب حاله لأنه

لم يجد ركيزة يركن إليها ، وود لو أن الأقدار وهبتهُ ماضيا سعيدا ، فاستجابت له . ولكنه عاد يشعر بغربتهِ عن ذلك الماضي ، ولم تعد هناك قيمة لآماله التي خلقها ماضيهِ هو ، وارتبطت به ، وعندئذ عاد لماضيه في لهفة واشتياق إليه!

:

شكا بؤس ماضيهِ الحفيل الجوانب

................بكل مصائب فادح العبء صائب !

وضاق به صدرا على طول صحبة

...................تمل ، ويا بئس الأسى من مصاحبِ !

وود لو ان الدهر يعفيه برهة

................من الغابر المملول جم النوائب !

فأصغت له الأقدار في أمنياتهِ

.................على أنها لم تصغِ يوماً لطالبِ !

وأعفته من ماضيه حتى كأنه

...................وليد خلي القلب من كل نائبِ !

***

نضا عنه أعباء السنين الغواربِ

.................ونحّى عن الآمال قيد التجارب

وعاد طليقاً لا يعوّق خطوهُ

.................مراس ، ولا يثنيهِ خوف العواقبِ

وخفّض صوت الذكريات أو امّحى

...............وجلجل كالناقوس صوت الرغائب

وآض وليد اليوم في ميعة الصبا

.............جديداً بدنياهُ ، جديد المطالبِ

بعيدا عن الماضي الذي آده الأسى

..............وحفّت به الأحداث من كل جانب !

***

ولكنه ألفاه أسوان موحشاً

................كما أفرد الأنسيّ من كل صاحبِ !

وألفاه في هذي الحياة كأنهُ

..................غريب عرا ، في عالم من غرائب

وألفاه مقصوص الجناح إذا هفا

.....................إلى الأوج لم يسعفهُ عزم المغالب (1)

وإن همّ لم يبصر له من ركيزة

....................تضاعف عند الوثب جهد المواثب (2)

وقد أبصر الآمال عرجاء لم تجد

...............لها سند من ذكريات ذواهبِ (3)

فعاد إلى الأقدار يشكو صنيعها

..................ويوسعها في شكوه عتب عاتبِ

أما يستطيع الدهر – لو شاء نصفة

....................له – عوضاً عن غابر منه خائب

بماضٍ سعيدٍ لم يشب صفوه الأسى !

..................فيحيا على ركنين : آت وذاهبِ !

****

فأصغت له الأقدار في أمنياته

................على أنها لم تصغ يوما لطالبِ !

وأعطتهُ أنقى صفحة في كتابها

................لأسعد مخلوق وأهنأ راغبِ !

ولكنه ألفاه لم يغد مالكاً

................لما منحتهُ من عزيز المواهبِ

وألفاه لم يكشف خبيئة نفسهِ

................لذيالك الماضي الذي لم يصاحبِ !

وأبصر بالآمال حيرى كأنما

.............تساءل عن داع لها جد دائبِ !

دعاها فلما أقبلت في سمائها

..............رأت غيرهُ في غفلةِ غير راقب (4 (

وما الأمل " البسّام " إلا رغيبة

...............لنفس ترى من دهرها وجه " غاضبِ "

***

فعاد إلى الأقدار يطلب عونها

................على رجع ماضيهِ بحسرة تائب !

أجل عاد ملهوفاً لمرّ التجارب

.............وأيامهُ الأولى الظماء السواغبِ

أجل ذلك الماضي الذي هو بضعة

................من النفس دسّت في الحشا والترائبِ

***

فأصغت له الأقدار في أمنياته

............على أنها لم تصغ يوما لطالبِ !

وعاد إلى دنياه من بعد غربة

...............وألقت عصاها واستقرّت بآيبِ

---

(1)يزيد في القوة أن يشعر الانسان أنه يغالب ، فإذا لم يجد ما يغالبه لم يكن هناك ما يثير عزيمته

"(2)محور الارتكاز " يساعد " القوة "في عالم المادة وهو هنا الماضي الذي يتكئ عليه

(3)الآمال والذكريات ركنا الحاضر ، فإذا ذهبت الذكريات بقيت الآمال عرجاء

(4)دعاها الماضي الشقي واقبلت فوجدت الماضي السعيد غبر ملتفت لها

.

]صور وتأملات[

.

ليلات في الريف / يونيو 1933

من حنين الفؤاد ،من خفقاته

................ذلك الشعر ، من صدى زفراته

وسعتهُ الألفاظ وزنا ومعنى

.................ثم ضاقت عن روحه وسماته

هو وحي لذكريات حســـان

.............أودع الخلد بين ذكرياته

وليال يا حسنها من ليـــال

.................يشتريها مخلّــد بحياتهِ !

همس الصمت بينها همسات

...............خفض الكون عندها خفقاته

وسرى البدر مغمض الجفن وسنا

...............ن كطيف مستغرق في سباته!

***

يا جمالا بريف مصر قريراً

...............هادئ البال في خشوع وقور

لست أنسى لياليا فيك مرت

...............هُن أطياف عهدنا المأثـــور

حين نسري والبدر ينشر ضوءاً

................فوق سهل كالعيلم المسجور (1(

بينما الزهر حالم في رباهُ

................وغصون مهدلات الشعـــور

وخرير الأمواه ســـاج رتيب

.................مثل شدو في عالم مسحور

ونجيّ من الرفاق بهمـــس

.................وحديث مستعذب من سمير

***

قد وعى الدهر هذه الليلات

............ووعينا آثارها الباقيات

فهي ذكرى توشجت بنفوس

................حانيات لطيفها راجفات

ليت شعري : أللفناء سبيل

.............حين يمضي لهذه الذكريات

سوف تعييه رقية من خلود

.................عودتها الفناء والحادثات

هذه مسكة من الأبد البـــا

...............قي المعهود قبل خلق الحياة

ذخرتها الأحقاب حتى اجتمعنا

..............فأبيحت فما لها من فوات

---

(1)البحر المملوء!

.

العودة إلى الريف / نوفمبر 1933

مهد الرجـــاء ومهبط الأحلام

وطني عليك تحيتي وسلامي.................

يا ريف فيك من الخلود أثارة

تنساب في خلدي وفي أوهــامي................

وترد إحساسي إليك إذا خلت

نفسي إلى الآمال والآلام..............

وكأنني المسحور يقفو ساحراً

في بهرة كالطائف النوّام !................

***

إني فقدتك في الطفولة غافلاً

عما حويت من الوجود السامي.................

لكن وجدتك إذ كبرت بخاطري

رمزا أحيط بغمرة الإبهــام................

وتكشّفت نفسي فلُحــت كأنما

نفسي ، وأنت جمعتها بتؤام !...............

ووجدت أحلامي لديك وضيئة

لم تبل جدتها يد الأيام !.................

واليوم عدت إليك أحسب أنني

...............طير يؤوّبُ بعد جهد دام

يا ريف تدعوني إليك ، وإنني

................لَلمستطار إلى لقاك الظامي !

***

هذا الهدوء كأنما هو عالم

...............في الوهم لم يتبدّ للأقوام

وكأنه الحلم الجميل يحوطه

................صمت كصمت العابد المتسامي

وتحس بالسر العميق تخالهُ

................يضفى على الإيقاظ والنوام

ويلوح في وضح النهار وينطوي

...............ما بين طيات الظلام الطامي

هو ذلك السر الذي مفتاحهُ

..............ضمت عليه جوانح الأهرام

***

إنّي أجول بخاطري متنقل

..............في حيثما امتد البسيط أمامي

فإذا مواكب للجمال وديعة

...................جمعت طرائفها يد الإلهام

للطير فيها ، للأزاهر .. موكب

.................للناس ، للحشرات ، للأنعام!

متآلفين ، سرى الرضا لنفوسهم

................فيما اغتذوا من مشرب وطعام

كل يرجّع للطبيعة لحنهُ

..................في ذلك الوادي الخصيب النامي

وهنا الطبيعة كالغريرة إنما

.................ورثت وقار أبوّة مترام !

تلهو ، ولكن في براءة طفلة

.............من نسل آلهة غبرن كرام !

عبدتهم الأوهام في غمراتها

..................واندس بعض الوهم في الإبهامِ !

وتوارثته طبيعة خلدت بها

................مصر على كر من الأعوام

يا ريف مصر ، وأنت سر بقائها

..................اسلم ، فدتك مواهبي وحطامي

.

.

الليلات المبعوثة / يونيو 1934

بعد عام كامل من الليلات الأولى عاد الشاعر للريف ، فقضى فيه ليلات مثلها ، في جو نفسي مماثل ، وبين رفاق هم الرفاق ، وكان عدد الليلات الأولى والثانية متّحدا .....

:

أ هو البعث يا ليالي الخلــود ؟

...............أم ترى أنت خلقة من جديد ؟

أم ترى صورة منك صيغت

................بين وحي الإلهام والتجويد ؟

يا لياليّ ما أراك سوى أنت

................كما كنت مرة في الوجود

هاهنا والزمان يحلم وسنــا

................ن سعيد لها بحلم سعيد !

ورنا البدر في حيـــاء وديع

..............وهو راض رضاه طفل وليد

ورفاقي هم الرفاق ، ونفسي

..................هي نفسي ، وعالمي ، وعهودي

ما أرى معلماً تغيّر أو رسما

...............محته يد الزمان الكنود

أنت ليلاتنا ! فقصي علينا

..............كيف أفلتّ من زمان القيود !

***

قد تسللن خفية في الظلام

................بينما الدهر سادر الأوهام!

ثم وافيننا وهن سكارى

..............حالمات أغرقن في الأحلام

هامسات لنا : لقد بعث العهد

..................فهيا من كل لهفان ظام

فأجبنَ دعائهن سراعاً

...............وخلعنا دنيا الحجا والحطام

ورقينا مدارج الخلد و الكو

.................ن مسجى في غفلة وظلام

هاهنا كنت منذ عام ولكن

..................يا لنفسي ، فها هنا أي عام !؟

ما أرى للزمان رسماً ! فهذا

.................كل شيء هنا كرمز الدوام

إيه ليلاتنا ، أعيدي علينا

.................قصة الخلد ، فالأماني ظوام

****

خيم الليل في خشوع رهيبٍ

.................غير لمح الرؤى ، وخفق القلوب

وسرينا نرتاد سر الليالي

.................وهي تفضي بسرها المرهوب

وتُجلّي لنا زمانا زمانا

.................وعجيبا وراء ستر عجيب!

ومتاعا من الحياة نفيسا

................ضمنه آلاف عهد خصيب

قد رشفنا خلاصة منه تعنى

..................عن حياة الورى وعيش الشعوب

وسرى في النفوس معنى جديد

.................عبرت عنه بالغناء الرتيب

وتسامت أرواحنا في نجاء

................وتهادت قلوبنا في دبيب

تلك ليلاتنا وهذي صداها

..............إيه ليلاتنا ؛ اخلدي لا تغيبي !

.

.

الجبار العاجز / 1933

على إفريز محطة القاهرة ، أنزل قطار الصعيد كتلة بشرية ، تتنزى وتتلوى .. وتصرخ في حشرجة مفزعة . هذه الكتلة هي بقايا رجل متحطم ، صريع أشل ، يتنزى الصرع فيه ، وتتلوى صرخاته ، كأنما تغالب معركة داخلية عنيفة ويبدو على سحنته أن هذا العجز ليس أصيلا فيه ، وأن له ماضيا جبارا في ناحية من النواحي ، وأنه يألم أكثر ما يألم لهذا العجز الطارئ الجديد

:

حطّم الدهر قواه فانحطم

..................وتنزّى الداء فيه والألم

ودوت من فيه تعوي صرخة

..................تتلوى فيه حتى تحتدم

صرخة الجبار يشكو مرغماً

................ذلة الشكوى وإهوان الرغم

يشتكي العجز الذي أقعده

............عن صراعات وهول يقتحم

تسمع القوة في صرختهِ

...............من وراء العجز تدوي فتصم

ويهم البأس في أشلائه

...............ناهضاً ، لكنما العجز جثم

***

أي معنى تحتوي صرختهُ

................أي ماض في ثناياها ارتسم ؟

هو ماض نازل الدهر بهِ

.................في عناد شامخ حتى انحطم

هو ماض غامض تكتنفه

..........جلجلات ، وهزيم ، ورُجَــم!

هو ماض مارد مقتحم

................لا يهاب الموت فيما يعتزم

هو ماض ! أي ماض ؟ يا لهٌ

.................مبهم التعبير كالدهر الأصم !

.

.

"ناحتُ الصخر" أو " الفاعل "
/ 1934

لمن طرقة خرساء صماء تعول
.................أقض بها النوام في الفجرِ معولُ ؟
لذلكم الصخر يحطم صخره
.............ولما يزل لليل في الصبح مدخل !
أكب على تحطيمه وانتحاتهِ
..................كراجٍ له في ذلك الصلد مأمل !
يطوحُ في عرض الفضاء ذراعهُ
....................ويهوى على الصماء كالخطب ينزل
ولكنها تلقاهُ صماء لم تلن
..................وقد خذلت كفاه والصخر يخذل
يدور حواليها ليدرك مقتلاً
................وهيهات في الصّلد الاصماء مقتل

ويغمزها غمز الخبير وينثني

..................يحاول ما أعياهُ ، لا يتحول

وقد جاش في أعضائه كل نابض

..................وسال دم في صورة الماء يهطلُ

وحين توالت طرقة بعد طرقة

.................تفتت تحت العزم ما كان يصمل

فأرخى ذراعيه ، وأسند جسمهُ

..............إلى معول ، نضّاه للكدح معولُ

***

تسيل جهود أو دماء نقية

................لينصب تمثال ، ويرفع منزل

وما نصب التمثال للكادح الشقي

................وليس له في ذلك القصر موئل

ولكن قصاراه شراب ولقمة

................ومأمله في ذلك الصلد مأكل !

فقار كمثل الصخر أسود كالح

.................وأفراخهُ كثر ، وأنثاه مطفل

فإن كان إكليل فهذا جبينه

..............وإن كان تمثال فهذا المَمثل

ويا رحمة الإنسان أدعوك فاخجلي

............أمام بني الإنسان إن كان يخجل !

.

.

بريشة الشعر / 1928

-وصف لصديق عزيز-

كان بالأمس وبالأمس القريبِ

..............يتراءى كالأماني هاهنا

هائما كالروح يغدو ويثوب

..............والرجاء العذب في واد المنى

،

وادعا كالزهر حياه النسيم

ساهيا كالصمت في ظل الوجوم

حالما يصحو قليلا ويهيم

*

بين أطياف الأماني

وخيالات الهموم

***

زهرة قد كان يعروها الذبول

..............ثم حيتها تباشير الربيع

فهي ترنو بين صحو وذهول

...............مثلما تحتار في العين الدموع

،

وهو لحن من اناشيد السماء

أرسلته في تضاعيف الضياء

فوعاه كل ذي حس براء

*

وشعور كالنسيم

في الحنان والنقاء

***

دمية توحي بأشتات المعاني

............وهي سكرى في حمى الصمـــت العميق

هادئات مثل أطياف الأماني

..............ساميات الوحي كالعطف الرفيق

،

وهو ما أدري ملاك أم بشر

فهو رَوح هائم لا يستقر

وهو صفو لم يخالطه الكدر

*

والأناسي لئام

مثل شيطان نكر

***

كان بالأمس ولكن قد تولى

.........ذلك الأمس فخلاني وغاب

وإذا بي موحش لا أتسلى

...........والخصيب النضر كالجدب اليباب

،

أذكر الساعات ومضاً ينقضين

ثم يعروني لذكراها الحنين

فيهيج الوجد و الشوق الدفين

*

إيه ساعات الأماني

اترى قد ترجعين ؟

.

.

ابتسامة / 1930

أنر بفؤادي كل أسوان مظلمِ

..............ببسمة راض في الحياة منعم

وصور بها الآمال : إني رأيتها

..............تطيف بريا ثغرك المتبسّم

وطالع بها وجه الحياة ندية

................تمس حشاشات القلوب ببلسم

وتسري إلى الأرواح روحا مهوما

...........يفيض عليها من رضاء وأنعم

فديتكَ لا تأل الحياة ابتسامة

..............أرق وأحنى من خيال مهوم

مرنحة الأعطاف تومض خلسة

............وتخطر في رفق بذيالك الفم

فديتك أرسلها على الكون غبطة

.............تشافهه همس الرجاء المتمم

وتدركها الأرواح في خطراتها

...............كما تدرك الأسماع همس الترنم

فديتك لا تأل الحياة تبسماً

...............فإنك لم تخلق لغير التبسم

وقَتكَ الليالي العابسات عبوسها

.................إذن فتبسم كيف شئت وانعم

.

.

وردة ذابلة / 1925

قد تولت وذوت نضرتها

..........وبدت كالميت المحتضر

تفتح الأجفان أو تغمضها

...........فتحة الضعف وغمض الخور

وشذاها لم يزل يفعمني

............فيعيد الشجو لي بالذكر

.

.

العود / 1927

محلل القلب أنغاما وألحانا

...........وملهم الوحي إسرارا وإعلانا

وموقظ النفس إن طافت بها سنة

.............وأنت تهمس بالأنغام وسنانا

ومطلق الروح تسمو في معارجها

.............وتطرق العالم العلوي أحيانا

وباعث الذكر اللائي إذا اشتجرت

............أثرن في النفس آلاماً وأشجانا

وواهب الحس لطفا في مداركه

...........وموحي الشعر إحساسا وأوزانا!

أسلتَ نفسي بالألحان تنشدها

.............إنشاد ذي شجن قد هام تحنانا

كأن ألحانك اللائي ترددها

.............أطياف ذكرى ، توارت ، ترجعُ الآنا

كأنها خطرات في مخيلة

...............نحسّها ، ثم لا نسطيع تبيانا

كأنها همس جن او ملائكة

.............أسرّ عن عالم الإنسان كتمانا

تسيل في النفس والأسماع مرهفة

..............وإن للنفس مثل الجسم آذانا!

وتستحث خيالا كان في دعة

...............فيذرع الكون آفاقا وأزمانا

وتملأ النفس باطمئنانها ثقة

................وتغمر القلب إخلاصا وإيمانا

***

حديث أي فؤاد انت تذكرهُ

..............أباسمٌ فرح ؟ أم كان حزنانا ؟

وأي وحي لنا تروي رسالته

.............فيؤمن الناس أفكارا ووجدانا ؟

عن القلوب جميعا أنت تخبرنا

.............عن الأناسي ما خصصت إنسانا

عن الحياة وما فيها تحدثنا

...............فكلنا مؤمن يزداد إيقانا

عن الطبيعة تروي وهي تلهمنا

................هذا الحديث ، فما نحتاج برهانا !

.

.

عبث الجمال ...! / 1929

غادة ممراح طروب ، لم تقنع أن تعبث بالقلوب والأرواح ، فعمدت إلى جماعة من الطير ، اتخذن لهن عشا بين أحضان شجرة ، تذودهن عن عشهن الهادئ في عبث قاس ، وكلما عدن إلى العش ، عادت إلى الذود !

:

دعيها تغرد لحنها وترجّع

.................وتمرح ما شاءت وتلهو وترتع

دعيها تنمق للحياة تحية

................وتبعثها لحنا يلذ ويمنع

دعيها تعبر عن مشوق متيّم

..............تلج به الذكرى ، فيهفو و ينزع

دعيها ففي ألحانها الحب ناطق

................ومن وحيه تشدو مليا وتسجعُ

دعيها فقد روعتها وتركتها

................مشتتة حيرى تطل وترجع!

***

عزيزٌ عليها عشها درجت به

..............فراخا نحيلات تهم فتقعد!

يطالعها روح الربيع فتنتشي

................ويدهمها قر الشتاء فتجمد

وتنشق أنفاس الصباح ندية

..............فتندى ، ويحدوها الرجاء فتسعد

وظللها في عشها الحب حانيا

................عليها قويا منعشا يتجدد

**

فكان لها زادا إذا قل زادها

............ورَوحا وريحانا ولحنا يردد

***

ويا طالما غنت ويا طالما بكت

................سرورا بقرب أو حنينا إلى ذكرى

ويا طالما ارتاعت لخطب مداهم

.................فكان لها منجى وكان لها سترا

وكم ليلة مرت وكم أشرق الضحى

..............وكم أملت خيرا ، وكم حذرت شرا

دعيها بمهد الذكريات أمينة

..............تطيف بها كالومض مسرعة تترى

دعيها أجل لا تعبثي بشعورها

..............ولا تحرميها خير ما حفظت ذخرا

***

وإن لا يكن بد من اللهو فاعبثي

................بألبابنا لا بالطيور الهوائمُ !

وهبتك إحساسي فما شئت فاصنعي

................أمينا لعهدي مخلصا غير نادم

وقاك الجمال السمح كل ملامة

..................وعتب فلا تخشي مقالة لائم

ولكنها الأطيار تلهو بريئة

.................فما بالها تدهى بفعلة ظالم

دعيها – فدتك النفس – لا تعبثي بها

..................فما كان اولاها برحمة راحم !

.

.

يوم خريف / 1932

وقف الكون شاخصا في سكون

.................وتراءى لخاطري كالحزين!

وشخوص الأحداث يغرقها الصمت

.............فتبدو كباهتات الظنـــون

وكأن الزمان ساوره الحزن

.............فأغفى اغفاءة المستكين

وكأن الأفلاك أجهدها السير

............فناءت بحمل عبء القرون !

وكأن الأقدار أرخت يديها

..............وتراخت عن صرفها للشئون

***

وقف الكون ساهما ليس يدري

..................أين يمضي ؟ وأين لو شاء يمضي ؟

طالما دار بالأنام وداروا

...............بين رفع من الحياة وخفـــــض !

ثم ماذا ؟ ، تساءل الكون : ماذا ؟

..............أ حياةٌ ما بين غزْل ونقضِ ؟

أيما غاية تؤم إليها

............أي قصد قضيتهُ أو سأقضي ؟

تعب ضائع وجهد غبين

................ومصير مقنع ليس يرضي!

***

وسرى اليأس والخمول إليه

.................فتراخى في سيره كالبليد!

وتمشى الهمود في كل شيء

................مشية الداء بالأسى والكنود

فإذا الدوح في وجوم كئيب

...............وإذا الطير في ذهول شريد

وإذا الزهر في الرياض أســـيف

.............كصغار الأيتام في يوم عيد

وإذا بالزمان يعطو كسيحاً

..................كأسير يساق نضو القيود !

***

وكأن السماء والأرض، مرضى

...............برِماتــ بثِقلة العُوّاد!

وترى السحب في السماء تغشّي

...............ناظريها كصفحة من رماد

وترى الأرض كالكظيم من الحزن

.............ثكولا تسربلت بالحداد !

والفناء المريض طاف عليها

................طائف منه في ثنايا الرقاد

كل شيء يرنو إلى كل شيء !

............كسجين يرنو إلى الجلاد

***

مأتم صامت يهوّم فيهِ

................شبح اليأس والقنوط العقيم

ليس موت وليس ثَم حياة

................كل شيء في صمته كالسقيم

والوجوم الذي يغشّي عليها

.................كاسف البال ممعن في الوجوم!

وخفوق الأرواح أبطأ نبضاً

.................كخفوق النجوم خلف السديم

أسبلت عينها الحياة سآماً

....................واستنامت لليأس والتسليم !

.

.

مرّ يوم 1934 /

مر يوم منذ ما استيقظت أمس ؛؛ مر يوم !

نبأ يأباه وجداني وحســـي ؛؛ فهو وهــم !

**

مر يوم قالت الساعةُ مرّ ؛؛ قول واثق!

أسأل الشمس : أحقّا ، والقمر ؛؛ فيُوافــق !

**

أهو يوم في الرؤى لا في الزمان ؛؛ والحقيقة ؟

أم ترى يوم طواه العقربان (1) ؛؛ في دقيقة ؟

**

كيف مر اليوم ! ماهذا العجب ؛؛ كيف مر؟

تكذب الأفلاك أم حسي كذب ؟ ؛؛ أم سخر؟

**

لم تكن فيه حياة أو أمل ؛؛ أو تمتع

وهو محسوب علينا في الأجل ؛؛ فهو أضيَع !

**

تحسب الأقدار بالكم (2) فلا ؛؛ هي تفرق

بين يوم مر (3) أو يوم حلا ؛؛ أو تحقق !

**

ونؤديها كما يبغي الحســـاب ؛؛ وهو عمر !

فيه من خصب وفيه من يباب ؛؛ وهي تذرو !

---

(1)عقربا الساعة حين تدير مفتاحها يطويان الدورة كلها في لحظة واحدة ، ولا يكون معنى هذا مرور أربع وعشرين ساعة !

(2)بالكم أي بالكمية لا بالقيمة

(3)مر من المرارة ضد حلا من الحلاوة

.

.

الدنيا / 1930

إيه يا دنيا وما أنتِ ســـــوى

................عبث الأطفال فيما يلعبون

ضجة صاخبة لا تحتوي

.............غير أصداء قويات الرنين

فإذا فتشت عن مبعثها

..............لم تجد شيئا تخبيه الوكون !

.

.

]غزل ومناجاة[

.

هي أنتِ / يوليو 1930

هي أنت التي خلقت لنحيا

.................في ظلال من الوفاء الرشيد ؟

كحياة الأرواح تضفي حنانا

.................وهي تهفو في ظلها الممدود

حيثما الحب طائف يتراءى

..................كالملاك المهوّم المكدود

حاني العطف إذ يضم علينا

...................ضمة الأم رحمة بالوليد

فإذا الكون والحياة جمال

..................وإذا العيش فسحة في الخلود !

******

هي انت التي أطافت بنفسي

...............وتراءت في خاطري من بعيد ؟

حينما كنت هائما أتلقّى

..............أغنيات الآمال شتى النشيد ؟

في ظلال من الأماني تترى

.................بين وادي التعلّة المعهود !

إذ تراءيتِ هالة من رجـــاء

.................هادئ لين رفيق وئيـــد

ثم دانيتِ في دلال وديع

...............ثم باعدت في دلال شَرود ؟

**

هي أنت التي تلاقيت روحاً

..................مع روحي فهامتا في الوجود ؟

هي أنت التي تحدثت عنها

................خطراتي ، في يقظتي وهجودي ؟

إن تكوني ! إذن فهاك فؤادي

..............كله خالصا نقي العهود !.

وتعالى نبع الحيــاة جهاداً

...............عبقري التصويب والتصعيد !

شجعيني على الجهاد طويلا

...............فجهاد الحياة جد شديد!

أشعريني بأن قلباً نقيّــا

............يرتجي ساعدي ويهوى وجودي

ثم سيري معي نخط طريقاً

..............كمهاد في الصخرة الجلمود !

نظرة منك وابتسامة حُــب

...............تترك الصعب ليّنا كالمهود

لك مني عواطفي وعهودي

................لك مني رعايتي وجهودي !

.

.

أحبك / يوليو 1930

أحبك كالآمال إذ انت مثلها

...............يذكّين في نفسي أعز مواهبي !

وما هي إلا نظرة شاعرية

................تعبر عمّـــا شئته من رغائب !

فتسري إلى نفسي مضاء وجرأة

................ووثبة حسّاس وعزمة راغبِ

ورَوحا ذكي النفح يسري كأنه

................نشيد ملاك هائم متقارب

يعيد إلى المكدود راحة نفســـه

................ويبعثه خلقا جديد المطالبِ

**

أحبك من قلبي الذي أنت ملؤهُ

...................ومن كل إحساس بنفسي ذائبِ

فؤادي الذي فتّحت فيه مشاعراً

..................من الحب والإحساس شتى المذاهب!

سموت به حتى تكشّف دونهُ

.................عوالم أخرى تائهات الجوانب

عوالم لا تبدو لقلب منقّبٍ

...............بلا ذلك القلب الرفيق المصـــاحبِ

بها كل لذات الحياة ودونها

...............لذائذ أخرى كاذبات العواقبِ!

**

أحبك إذ ترجين مني رعاية

................وتهوين ساعات الحياة بجانبي

هنالك تسمو بالحياة فترتقي

................إلى كنف بين السموات ضارب

هنالك نحيا والأمانيّ حولنا

................تغرد ألحان المنى والرغائبِ !

,

.

.

الظامئة / 1934

بعينيك أبصر روح الظماء

..................وبالنفس ألمح طيف القلق

ففي الخطرات ، وفي اللفتات

................وفي النظرات وبين الحدق !

يطل التلهــف في وثبة

................وتعصف ريح اللظى المحترق

لأيّ من الأمر هذا التطلع

................هذا التوثب ، هذا الحرق !

شواظ من الشوق ؟ أم جمرة ؟

.................من الحب محمرّة كالشفق ؟

**

أحس بأنك ملهوفة

............لأن تنهلي كل معنى الغرام !

وأن تنهبي النور من فجره

..............وأن تسلبي زفرات الظلام !

وأن تقطفي كل زهر الربا

................وأن ترشفي كل قطر الغمام

وتستوعبي كل وحي الحياة

................من الشجو والوجد او الابتسام

تفتّح فيك شعور الحياة

..........فشفك منها الهوى والاوام

**

إليّ إلي ! ، ولا تجفلي

...........فإني ظمئت لما تظمئين

وأحسبني كنت أهفو إليك

...............كما كنت لي في المنى ترقبين

وشطّت بنا ندوات اللقاء

.................وضلت بنا خطوات السنين

إلى أن لقيتك فتانة

...............فحركت مني اشتياقي الدفين

تعالي نروّ ظماء السنين

...............تعالي نعش للمنى والفتون !

.

.

لماذا أحبك !؟ / 1934

احبك حب الهوى والجنون

...............أحبك حب الرشاد الرزين

أحبك بالقلب في وقـــــدةٍ

...............أحبك بالعقل جمّ السكون!

وتَبدين في قلبيَ المستطار

................كما تسفرين بفكري الرصين

ففيك تلاقى الهوى والهدى

................وشابه فيك الرشاد الجنون!

فأما ازدهاني بحبي الفتون

...............ركنت به للحجا واليقين!

**

لماذا أحبك ؟ هل تفكرين ؟

.............وما السر في الأمر ؟ هل تعلمين ؟

أللحسن ؟ كم قد لقيت الحسان

................فما هجن بي ومضة من حنين!

ألّلعطف ؟ إني القوي العطوف

.................فما أرتجي رحمة العاطفين

أ للنظرات ... وللــفتات

.............وللسحر في مهجتي تسكبين ؟

وشتى الخلال وشتى السمات ؟

............لقد طالما اجتمعت للمئين !

إذن فلأي المزايا يكون

.................هواي وحبي ؟ هل تدركين ؟

**

ألا فاعلمي الآن علم اليقين

................سأكشف عن سر حبي الدفين

لقد لج بي قبل هذا ، السكون

...............وقد آدني الصمــت ، صمت الحزين

وقد عشت للجد ، جد الرصين

.................أهمّ وأكبو بعبء السنين!

إلى أن لقيتك خفاقة

.................توقد فيك الهوى والفتون

فأنت هنا فرحة تمرحين

................وأنت هنا نشوة تقفزين

وأنت هنا جمرة كاللظى

................وأنت هنا شعلة تومضين

فأكملَ هذا المراح الطروبُ

..................هدوء الحزين ، وجد الرصين

وأعجبني حسن هذا الكمال

...............وإني عليه الحفيظ الأمين

**

لماذا أحبك .. هل تفكرين ؟

.............وهذا هو السر .. هل تعلمين ؟

.

.

رسول الحياة / 1934

أفي كل لقيـــا شعور جديد

..............وفي كل قرب ظماء يزيد ؟

وفي كل يوم أرى عالمـــاً

..............من الحب ينسبنا للخلود !؟

وألقاك والكون قفر جديب

.................فتنبض فيه المنى والورود

ويخفق بالحب قلب الحياة

..............وتشدو هواتفها بالنشيد

كأن الحيـــاة وآمالهـــا

..............إذا ما لقيتكِ خلق جديد

هو الحب لا القدَر المستطيل

...............يقسم في الكون شتى الجدود

فيمنع فالكون شاك شقي

..............ويمنح فالكون راض سعيد

وينبض فالكون في نشوة

...............ويجمد فالكون جـــاث بليد!

**

لقيتك خفاقة كالرجاء

................فذكرتني أنني بعدُ حي !

وجاش بنفسي شعور الحيـــاة

..............وفتّحت في رجفةٍ مقلتيْ !

أقلب عيني بهذا الوجود

................وترتاد روحي منه الخفي

فيا للجمال ، ويا للغناء

...............ويا للخواطر تهفو إلي!

ويا ليَ من ظامئ لاهــف!

..................ويا لي من عاشق عبقري !

يُحيل الحياة إلى فتنة

................وأصدائها لنشيد شجي!

ويطرب بالشعر قلب الحيـــاة

...............وينفحها بالرضا القدسي

وما أنت إلا رسول الحيـــاة

................وحبك معجزة من نبي !

.

.

.

توارد خواطر/ 1933

خطر ببال الشاعر اسم معين ، ثم نظر فجأة ، فإذا بصاحبة هذا الاسم تنظر إليه وتحييه !...

:

إفأنتِ ذي ؟ أم ذاك طيف منام ؟

...............إني أراك كطائف الأحلام!

لما خطرتِ وقد سموتِ بخاطري

...............ألفيت شخصك كالملاك أمامي

فدهشت أو فارتعت أو فتضرمت

.................خفقات قلبي المنتشي البسّام

عجباً ! أكنت هنا فأومض خاطري

................بك ؟ أم سريت على جناح غرامي

إني لأؤمن بالغرام وأنه

.............يقوى على متعذر الأوهـــام !

**

ماذا صنعتِ بعالمي وخواطري

..................لما لقيتك كالخيال السامي ؟

أفأنت ساحرة تصوغ من الدجى

................نوراً ، وتبعث في الحياة حطامي ؟

وتحيل صمّ القافرات نوابضاً

................بالزهر والآمال والأوهــــام ؟ !

وتجمّل الدنيا وتخلق عالماً

................للخلد فيه مدارج ومســــام ؟

**

يا للقاء ! فكيف قد حجّبته

................عن نفس منهوم العواطف ظام ؟

هو هذه الدنيا ، وعالم سحرها ؟

.................هو ذلك النبع الجميل الطــــامي ؟

حجبتهِ عنّي ، فأسفرَ بغتة

................بيد تجيء بمعجز الأيــــام !

الحب ، يا للحب يرتجل المنى

..............من غير تدبير وغير نظام

إني وثقت به وما هو باخل

................بك يا سعاد بيقظتي ومنامي !

.

.

توارد خواطر/ 1933

خطر ببال الشاعر اسم معين ، ثم نظر فجأة ، فإذا بصاحبة هذا الاسم تنظر إليه وتحييه !...

:

إفأنتِ ذي ؟ أم ذاك طيف منـام ؟

...............إني أراك كطائف الأحلام!

لما خطرتِ وقد سموتِ بخاطري

...............ألفيت شخصك كالملاك أمامي

فدهشت أو فارتعت أو فتضرمت

.................خفقات قلبي المنتشي البسّام

عجباً ! أكنت هنا فأومض خاطري

................بك ؟ أم سريت على جناح غرامي

إني لأؤمن بالغرام وأنه

.............يقوى على متعذر الأوهـــام !

**

ماذا صنعتِ بعالمي وخواطري

..................لما لقيتك كالخيال السامي

أفأنت ساحرة تصوغ من الدجى

................نوراً ، وتبعث في الحياة حطامي ؟

وتحيل صمّ القافرات نوابضاً

................بالزهر والآمال والأوهـــام ؟ !

وتجمل الدنيا وتخلق عالماً

................للخلد فيه مدارج ومســـام ؟

**

يا للقاء ! فكيف قد حجّبته

................عن نفس منهوم العواطف ظام ؟

هو هذه الدنيا ، وعالم سحرها ؟

.................هو ذلك النبع الجميل الطـــامي ؟

حجبتهِ عنّي ، فأسفرَ بغتة

................بيد تجيء بمعجز الأيـــام !

الحب ، يا للحب يرتجل المنى

..............من غير تدبير وغير نظام

إني وثقت به وما هو باخل

................بك يا سعاد بيقظتي ومنامي !

.

.

.

سر انتصار الحياة / 1934

أطلّي بطلعتكِ الساحرة

..............وحيّي بنظرتك الشاعرة

أفيضي على الكون فيض المراح

.................وغذيه بالقوة الطافرة

وما لك أنت ؟ وما للسكون ؟

...............وما أنت إلا القوى الثائرة

قوى الحب تنبض بين القفار

..............فتغدو القفارُ بها ناضرة

وتنفخ في ساكنات القلوب

..................فتغدو سواكنها نافرة

وتهتف للصم بالأغنيات

...................فيصغون للنغمة الساحرة

**

ألستِ التي نبضت " بالوجود "

..................فشق قوى " العدم " الساخرة ؟

بلى ! أنت سر انتصار الحياة

.................على الموت في الوقعة الظافرة

هنالك من قبل ميلادها

..............وكانت مغيبة حـــائرة !

وكنت نواة بها ضامرة

................فعدت حياة بها سافرة !

.

.

المعجزة أو السهم الأخير 1934 /

منحتنِي اليوم ما الأقدار قد عجزت

......................عن منحهِ ، وتناهى دونهُ أملي

منحتنِي الحب للدنيا التي جهدت

................في أن تُميل لها قلبي / فلم يمِلِ

وكلما قرّبَتْنِي ، قلت : خـــادعة

.................وكلما طمأنتني ، قلت : واوجلي !

ويغمر الشك نفسي كلما كشفت

.................عن فاتن من حلاها غير مبتذل

حتى خسرتُ من الأيام ما غبرت

................به السنون ، وحتى عقّني أجلي !

**

واستلهمت هذه الدنيا طبيعتها

...............في معجز من قواها قاهر حـــان

فأبدعتكِ جمالا كله ثقة

..................يؤلف الحب من وحي وإيمان

وأودعتكِ رحيقاً من خلاصتها

.................ومنبع السحر فيها جد فتّان

وأرسلتك يقيناً في طلائعها

...............منيرة في دجى عقلي ووجداني

**

والآن أخلص للدنيا وأمنحها

............حبي ، وأدرك ما فيها من الفتن

والآن أنظر للدنيا وأنت بها

............كعاشق بهواها جد مفتتن

والآن أعمل للدنيا على ثقة

..............بأنني قلبها الخفاق في الزمن

والآن أنصت للدنيا فيطربني

...............من صوتها العذب لحن ساحر اللحن

لك الحياة إذن ما دمت مانحة

..............لي الحياة بلا أجر ولا ثمن !

.

.

اللحن الحزين / 1934

أسى الألحان أم هذا ؟ *** أســـاك يسيل في اللحن ؟

وإلا هذهِ نفسي *** تهيم بعـــالم الحزن

فتوحي النفسَ للأذنِ ؟

،

وأين نشيـــدك الراضي *** وأين نشيدك العذبُ ؟

وأين الفرحة النشوى *** وأين القفز والوثبُ

يذكي وقدة الحب ؟

،

سمعتك أمس لم أسمع *** سوى نبرات أسفان

وغنوة عاشق يئست *** مناهُ من الهوى الفاني

فأنّ فؤادهُ الحاني !

،

هي الأوتار عالمة * بما في قلبك المفعم**

وإلا أنت موحية * لها ترنيمة المؤلم**

تمس القلب كالبلسم

،

بربكِ علمي اللحنـــا * يرجّع غنوة الأمل**

ويبهج هذه الدنيـــا * ويبعث نشوة الجذل**

فيدعو الكون للعمــل

،

أجل يا خطرة الفن * برأس مفكر ســـام**

وغاية كل فنـــان * يناجي حسن أوهام**

أجل يا سرّ إلهامي !

.

.

.

الغيرة / 1934

إذا كان الشاعر صادقا في شعوره ، صادقا في التعبير عنه ، كان في الشعر مجال للدراسة السيكولوجية فوق الدراسة الفنية.

وفيما يلي مقطوعتان من الشعر في موضوع واحد ، يفرق أحدهما عن الأخرى يوم واحد لكن الفرق بين روحيهما بعيــــــــد !

ولا يهمني أن أدرسهما من الناحية الفنية .فذلك شأن القراء . إنما يهمني أن أدرسهما من الوجهة النفسية ذلك أن مبعثهما هو " الغيرة " وهي عامل نفسانيّ بحــــت .

:

فهمت هي ! أن الشاعر يتوجه إلى شقيقتها بقلبه . في حين لم تكن إلا مجاملة ، فآلمها ذلك ولكن لم تُرد أن تبيّن سبب الألم لدقة الموقف ، وإن أشارت إليه من بعيد .

وبدت كاسفة البال واجمة يتراءى في عينيها الرجاء الأسيف ، والأمل المكلوم والريبة التي تهرب منها فتلاحقها ! ، ورأى هو هذا الشعور فأخرج المقطوعة الأولى تحس فيها عطفه على ارتيابها ، واطمئنانه لهذا الارتياب لأنها وثيقة على حبها له أو لأنه كما يقول :

فلولا اعتزازك بالحب لم * تثر في فؤادك تلك الريَب!**

ولكن هذه الريبة تجسمت في نفسها ، ومضى يوم كامل لم تعد فيه إلى يقينها . فكانت المقطوعة الثانية ، وكان ما يشبه التبرم بهذا الشك منها حيث لا مبرر للشك!

:الغيرة تلذ الرجل أول مرة لأنها وثيقة الحب ، ولكن حين تلج فيها المرأة قد يتبرم بها ، لأنها تكون طعنة للحــــــب !

-1-

غضبتِ فيا لكِ من غاضبة

..................وأرسلتِها نظرة عاتبة

يتمّ فيها الرجـــاء الأسيف

............وتجأر فيها المنى الواثبة !

وفيها هدوء الرضا المطمئن

...............تمازجه الغيرة الصاخبة !

تطل بها الذكريات العِذاب

..................وترجع مجهدة لاغبة

وفيها فتور ولكنه

..............فتور به قوة غالبة !

**

ولكن بها بعد هذا وذاك

..........فتون الهوى والجمال العفيف

وفيها من السحر أطيافهُ

.............بعينيك ألمحها إذ تطيف

لالهمتني السر لما نظرت

..............إلي بهذا الفتور الشفوف

وحدّثتِني في خفوت عجيب

................لما أضمرته لغات الطيوف

ولولا شعوري بحبي العطوف

..............لأحببت فيك الشعور الأسيف !

**

قد انتصر الحب . يا للانتصار

............بهذا العتاب وهذا الغضـــب

وثقت من اليوم في حبنـــا

............وأنك ترعينهُ في حدب

فلولا اعتزازك بالحب لم

...............تثر في فؤادك تلك الريب

إذن فاطمئنّي فهذا الفؤاد

...............يحبك في وقدة كاللهـــب

يحبك إي وجمال الغضـــب

.............يحبك إي والهوى الملتهب !

،

-2-

حدثيني أما تزالين غضبى ؟

.............أو مازال ملء نفسك ريباً ؟

ولماذا الوقار والصمـــت يضفي

...............بعدما كنت لي مراحا ووثباً ؟

كان بالأمس كالعتاب جميلا

.............ما له اليوم لم يعد منك عتبا ؟

صمتَ الكون مذ صمت ونامت

...............صادحات تردد اللحن عذبا

أنا أخشى ولا أصرّح ماذا ؟

............أنا أخشى ، فما أزال محبّـــا !

ابسمي ، تبسم الحياةُ وترضى

..................وامنحيني اليقين ، أمنحك حبّا!

. .

مصرع حُــب ! / 1934

خامر الشاعر الشك فيها بسبب أخبار تناهت إليه عن الماضي فقال : " ليلة الشك " وبات هذه الليلة في الجحيم حتى لقد فضّل اليقين ولو جاءه بالفقدان على هذه الحيرة الطاغية

أنا أشري اليقين بالفقدان

...............مؤثرا فيه واضح الآلام !

،

ثم خاطبها في هذا الشك فلم ترد له نفيا فكان " اليقين " الذي طلبه حتى إذا جاءه قال فيه :

أيهذا اليقين إنك قاس

..............ما تطلبتُ كل هذا المصاب!

،

ولكنه صمد له لأن الرجل قد يفضل اليقين الأليم على الحيرة الطائرة.

وإذا هو بعد ذلك يشعر بالفقدان فيكتب " الجنة الضائعة " ، فيها ألم ولكن بها عفة عن جنة تجوس فيها الذئاب وإن كان يتمنى لو فقد جنته هذه وهي " مؤمنة عامرة " حتى لا يفقد ذكراها كذلك . فيتضاعف الفقدان ، وهنا يبدو إحساس نادر فقد يود بعض الناس شيئا أن يفقدوه محطما لا قيمة له ، على عكس ما يريد الشاعر.

،

المرأة سريعة التشكك ، ثائرة الغيرة ولكنها سريعة التصديق لا تجنح لليقين إذا كان هذا اليقين يفجعها في الحب ، بل ربما هربت من اليقين وتعلقت بالأوهام.

والرجل بطئ التشكك ، هادئ الغيرة ، ولكن الشك الذي يداخل نفسه ، بطئ الزوال ، وقد يفضل اليقين المؤلم على التعلل بالخيال !

:

-1-

ليلة الشك

ليلة الشك والأسى والظلام

..................وجحيم الإقدام والإحجام

والعذاب الممض لم يتصور

................في وعيد أو خطرة الأوهام

قد تركت الماضي حصيدا هشيماً

................ونضير الآمال مثل الحطام

عن عِذاب الآمال قد أتعزّى

...............ما عزائي عما مضى من غرامي ؟

ليلتي أستطيع أن أرجع المـــا

..............ضي فأحيي ما ضاع من أيامي

ليلة الشك هل مضيتِ؟ فإني

................لم أزل بعد غارقا في الظلام

والهوى المشرق المنير تهاوى

...................في خضم الدجى العميق الطامي

والحياة التي تفيض مراحاً

.................قد تبدت في ذلة الأيتام

ومشى الحب مطرقا يتوارى

...............كحييّ ينوء تحت اتهـــام

ليلة الشك قد طمست حياة

...............من رجاء صيغت ومن إلهام

**

لهفتي لليقين يغمر نفسي

...............لهفتي للهدوء بعد اضطرامي

أنا أشري اليقين بالفقدان

...............مؤثرا فيه واضح الآلام

،

.

-2-

اليقين

اليقين اليقين بعد ارتياب

..................الهدوء الهدوء بعد اصطخاب

اليقين اليقين أطلب فيهِ

...................راحة اليأس من جحيم اضطرابي

أيّهذا اليقين إنك قاس

................ما تطلبتُ كل هذا المصاب !

أيّها الشك ربما كنت خيراً

...............من يقين كالجدب بين اليباب

حيرة الشك ، هدأة اليأس ، هلا

...............لحظة تتركان نفسي لما بي !

لحظة تخلّيان فيها فؤادا

................ملّ وقع اليقين أو الارتياب

ثم ماذا ؟ وما الهروب ؟ وهذا

.................واقع الأمر ، ما لهذا التغابي ؟

يا يقيني إليّ إني حفي

.................بيقين شريتهُ بلبابي

بدمائي التي بذلتُ ، بدمعي

.................برجائي المنور الوثاب

أنت أغلى علي من كل هذا

..................يا يقيني ، ومرشدي للصواب !

،

،

-3-

الجنة الضــــائعة

فقدتك يا جنتي الساحرة

...............وغادرتُ أفياءك العاطرة

وهمّت تشردني المقفرات

................وتلفحني كاللظى الهاجرة

وتعصف في نفسي العاصفات

...............وتنهشها الوحشة الظافرة

وقد طمس اليأس نهج الرجاء

................وغشّى البصيرة والباصرة

فلا الظن يلمع مثل السراب

...............ولا العلم يرضي المنى الحائرة

هو اليأس أو فاليقين الأليم

...............وبعض الحقائق كالكافرة

فيا لليقين الممض اللجوج

.................ويا لحقيقتهِ الجائرة

فقدتكِ يا ليتني إذ فقد

................تك كنت مؤمنة عامرة

لعزّيت نفسي بالذكريات

...............وأودعتُ فردوسي الذاكرة

ولكن فقدتك نهب الذئاب

................تجوس خلالك كالآسرة

وتهب القشاعم والجارحات

.................تخطف أثمارك الناضرة

وتهب المطامع والمغريات

...............تدنس نيتك الطاهرة

فقدتك في النفس أنشودة

.................ومعنى من الفتنة الساحرة

فقدتك ذكرى فواحسرتاه

.................لفقد من العين والخاطرة !

.

.

الحنين والدموع / 1934

جف قلبي من الحنين فغاضت

..................عبراتي وأقفرت منذ حين

وحسبت الدموع ذكرى توارت

..................بين ماضي حياتي المكنون!

وإذا بي أودع اليوم عهدا

................فتفيض الدموع ملء الجفون

في انسكاب يغض من كبريائي

..................واضطراب يرتاع منه سكوني

يا دموع الوفاء أنتنّ أغلى

................أن ترقرقن للوفاء الغبين !

.

.

اللغز ... / 1934

خفق القلب الذي مست يداك

..................جانبيه ، في جنون واضطراب

أكذا يهتاجني مَس هواك

..................وأنا الهادئ في مور العباب ؟

**

عجباً ! ما السر في خفقته ِ ..؟

................إنني أسألك السر الدفين

أنتِ أدرى بالذي أودعتِه

...............فيه من حب ، ووجد ، وحنين !

**

إن قلبي لم يكن ينزو ، فماذا

.............سال في كفك من سحر عجيب ؟

أهو اللغز الذي تحوين هذا ؟

..............أم هي الفتنة مفتاح القلوب ؟

**

أوه ! إني في اضطرابي قد نسيت

..................مبعث الفتنة في عينيك تَيْن !

تضمران السحر يحيي ويميت

................وهما سر اتصال المهجتين

**

سحرك المجهول أمسكت عصاه

....,......فإذا شئت اتقاء أتقيه !

لكن السحر الذي تاهت رقاه

...........إنني أهفو إلى الإخلاد فيه !

.

.

قبلة / 1934

أهي النشوة أم وقدة جمر

..................إنني أحسستها تذكو بصدري

وبروحي لهفةٌ تبعثها

................هذه القبلة من أعذب ثغر!.

قبلة ! ما هــذه القبلة إذ

.................تنقل الدنيا إلى عالم سحر ؟

وتحيل الجسم والروح معــاً

...............شعلة طائفة لم تستقرّ !.

بل تحيل الجسم والروح شذى

.................من عبير الخلد أو مسكة طهر

**

لم أحس الروح مني مثقلاً

..................بهموم الجسم إذ هوّم يسري

لم أحس العمر إلا خفقة

................بعدما قد كان أن ينقض ظهري

وتطلعتُ بعين المنتشي

................لجمال الكون في نشوة سكر

**

أهي القبلة من ثغر لثغرٍ ؟

..............أم هي الخطرة من وحي لفكر ؟

أم تراها قبلة النور التي

.................فاض منها النور في أول فجر؟

حينما رفرف والكون دجى

.............روح رب الكون في لجة غمر

فتجلى النور في بر وبحر

.................وتراءى الحسن في طير وزهرِ

.

.

داعي الحياة / 1934

يخفق القلبان، بل تهفو الشفاه

................منذ أن ضمتك في شوق يداه

منذ أن رن صداها ، قبلة

....................نهلت منها وعلّت شفتاه!

وارتوت روحاً كما بل ظمئت

..................برحيق القبلات المشتهاة

بل رحيق الخلد قد طاب جناه

..................وسرى فيه حلاه وشذاه

**

يخفق القلبان بل تهفو الشفاه

...................حين يلقى ناظريك ناظراه

حينما يستعر الحب جـــوى

..................يكتوي القلبان من حر لظاه

فيرجي كل ثغر قبلة

................هي برد للحنايا والشفاه

مثلما يطلب ريا ظامئ

................ينظر الماء ولا يبلغ فاه !

**

يخفق القلبان ، بل تهفو الشفاه

.................كلما بشر بالحب الهُــداه

كلما نادى المنادي حي هلا

..............يقطف المحروم ما طاب جناه

ما لمحرومين لم يستمعا

.................ذلك الصوت لذي دوّى صداه

إيه هيّا ، فلنجب داعي الشفاه

................فهو داعي الحب ، أو داعي الحياة

.

.

تحية الحياة /1934

شفتاي تختلجان للتقبيل ؟

...............في كل مطّلَـــع لديك جميل

ظمأ الشفاه طبيعة ألهمنها

................منذ ارتوين بثغرك المعسول

ظمأ تؤججه القلوب خوافقاً

................تنزو بعارم لهفة وغليل

من يوم ما التقت الشفاه فحدثت

..................عن حبنا بسواحل الترتيل!

أ فتذكرين وقد ضممتك والهوى

..................يغري ويوقظ خاطر التقبيل؟

والكون يمسك خفقة متنظّرا

....................قبلاتنا في لهفة وذهول!

هو عاشق القبلات إن رنينها

.................لحن ينبه فيه كل خمول

وهي الحياة إذا تحيّي قبلة

...................رمزا على الترحيب والتأهيل

أ فلا نرد على الحياة تحية

...............ما عقّها في الكون أي بخيل ؟

أفلا نرجّع غنوة التقبيل!

....................وتحية الدنيا لخير نزيلِ ؟

.

.

الخطر / 1934

بين التلفت والحذر *** خطرت تبشّرُ بالخطر !

بشرى! فما دمت هنا *** فعلام تقربنا النذر ؟

وتشيرُ للمتنظّــرينَ *** إشارة اللبق الحذر!

لتضيع مني قبلة *** لبثت بفيها تنتظر !

ولبثتُ أرقب قطفها *** من بعد ما نضج الثمر

هو ذاك يا قلب الخطر *** لا الناظرون ولا النظر !

،

صنع الشباب صنيعة *** والحب في الحسن النضر

فمضى يتيه تخايلاً *** فإذا تلطف يعتــذر !

ويلوح حتى ننتشي *** ويغيب حتى نستعر

ويروق حتى لا نرى *** شمسا سواه ولا قمر

ويرق حتى لا نرى *** طيرا سواه ولا زهر

ونطير في نشواتنا *** نهفو إليه وننتظر

فإذاه آنا يعتذر *** عنا وآناً يستتر !

هو ذاك يا قلب الخطر *** لا الناظرون ولا النظر !

،

تِه أيها الحسن الأغر *** وامرح بنفسك وازدهر

ما الحسن إلا شعلة *** تخبو إذا هي لم تثر

ما الحسن إلا طائر *** يهوى إذا هو لم يطر

ما الحسن إلا قوة *** تعيا إذا لم تقتدر

أما الذين أسرتهم *** بين التبرج والخفر

فعليهمُ أن يعلموا *** يا حسن من أين المفر !

أو يستنيموا للخطر *** وبحسبهم منك النظر !

.

.

.

يقظة / 1934

سهرت ؟ إذن تعالي حدثيني

................بما أحسست من حرق الحنين

فقد جربتهُ سهر الليالي

..................وقد خبرت تسهيد الجفون

وأعلم أن مبعثهُ غرام

..................يؤز جوانب القلب الحنون

ويقظة حالم تسمو متاهُ

...................عن النوّام في دنيا السكون

فهل أحسسته حبا كهذا

..............فبتِّ الليل ساهدة العيون ؟

**

وما أبغي لك السهد المعنّى

................ولا الحرقات ساعرة الشجون

ولكني أريد نشاط حُـــب

...............ويقظة عاشق جم الفتون

فنوقظ هذه الدنيا خلوداً

..................ونسمو عن تقاليد السنينِ..

.

.

رقية الحب / 1934

خيم الليل فنامي *** في هدوء وسلام

رفّ من حولك قلب *** علم الحب التسامي

أو فإن الحب نقّـــــا *** هــ ، بوحي منه سام

فهو يحيا في سمـــاء *** من أمان ومرام

وهو يسري في وسيع *** من رجاء مترام

يشمل الدنيا بعطف *** ورضــاء وابتسام

**

خيم الليل فنامي *** في هدوء وسلام

رتّل الحب رقاه *** في سكون لتنامي

رقية النوم وأخرى *** للرؤى بعد المنام

ودعاء لك بالبشر *** غدا عند القيام

وتعاويذ من الشر *** لعام بعد عام

رقية في إثر أخرى *** مشرقات في الظلام

**

أيها الحب فلا تنــس دعاء بالدوام

وتعاويذ لقلبينــــا لصد أو سآم

أو فعوذها ودعني *** لتعاويذ غرامي

وإذا شئت فعوّذ ** نيَ من فرط هيامي

ومن اللهفة تطغى *** في فوادي كالضرام !

واجعل الدنيا سلاما *** وارو يا حب أوامي !

.

.

.

الحياة الغالية / 1934

بالأمس كنت أعيش نضو ترقب

..................أزجي حياتي كالأجير المتعب

أرنو إلى الاصباح ثم تمجه

...............نفسي وأنظر كارهاً للمغربِ!

وأحس بالقفر الجديب يلفني

.................ويجوس في نفس كقبر الغيهب !

ولو انما اختصرت حياتي لم أبل

..................بل لم احس بنقصها أو أعتب

وإذا تشابهت الحياة وأقفرت

.................مجت برمتها ، ولم تتطلب

**

واليوم آسف للدقائق تنطوي

................من عمري الغالي الثمين الطيب

واليوم أرقبها وأرقب خطوها

..............فأعيشها مثلين بعد ترقبي

وهي العميقة الخلود وإنما

..............تمضي حثيثا في خطا المتوثب

وأود لو هي أبطأت وتلبثت

.............في خطوها لبث الوئيد المكثب

تغلو الدقائق في حياة خصبة

................وتهون أعوام بعمر مجدب!

**

الحب فاض على الحياة بخصبه

................وأجد عمرانا بكل مخرب

وأزاح أستار الدجى فتكشفت

..............ظلماته عن كل زاه معجب

وكذلك تحلو الحياة وتجتلي

..............وتعز ساعات الغرام المخصب

.

.

الكون الجديد / 1934

تغنّي واملئي الدنيا نشيداً

...............وحيي ذلك الكون الجديدا

فإنّ الحب أبدعُهُ ، وإني

.................نظمت على بدائعه القصيدا

أجل حبيه فهو لنا ، وإنّا

................لنعمر كوننا عمرا سعيداً

نعيش معيشة الطلقاء فيهِ

...................وكَون الناس يثقلهم قيودا

ونملكهُ وما الأحياء إلا

..................أجيري هذه الدنيا عبيدا

ونبذر فيه آمالا وضاء

..................فينبت غرسها الطلع النضيدا

***

تغنّي بالرجاء وبالأمـــاني

............وبالنعمى تدوم لنا خلودا

ومن فتن الحيـــاة خذي الأغاني

..................ومن خفقاتها صوغي النشيـــدا

ومن شعري ؛ فقد نظّمت فيه

..................أهازيج الهوى لحنا فريدا

فما أحلى الغنـــاء بعذب شعر

....................نحيّي فيه عالمنا الوليدا

.

.

حب الشكور / 1934

إن لم أحبك للسنـــا والنور

..............ولحسن وجه في الحياة نضير

ولسحر روحك حين يختلس النـهى

..................منـي فأتبعه اتباع سحير

ولما تضمنت الجمال فأفصحت

..................بك منه ساحرة من التعبير

ولما منحت ، وما منحت من الـهوى

..................للكون ، أو أحييت من مقبور

إن لم أحبك حب مفتون ولا

..................حب الأسير إذن فحب شكور

***

حب الذي أحييت فيه حياته

....................مما لديك من الحيا المذخور

ووهبته ملك الحياة وطالما

...................قد عاشها كالعامل المأجور

ومنحته ماضيه بعد ضياعه

....................وأعذت قابله من المحظور

حب الذي أشرقتِ في وجدانهِ

...................فجلوت كل محجب مستور

ونفخت في عزماته فتوهجت

..................وسكت لكل ممنع وخطير

**

أو فلأحبك حب من ألهمته

....................شرعا يضيء سناه كل شعور

شعرا جمعت من الحياة زهوره

..................ومن الجمال نفحتهِ بعبير

ومن الضياء وهبتهِ آماله

.................ومن الندى حلما كوجه غرير

وبعثته وحي الحياة وفنّها

...................تجلوه ضمن جمالها المأثور

**

أفلا أحبك ؟ إنها لفريضة

.................حب الشكور لواهب مشكور.

.

.

عصمة الحب / 1934

عصمة الحب من صنيع السماء

................وهي صنو لعصمة الأنبياء

يخطئ الناس في الحياة استباقاً

.................للذاذات قبل يوم الفناء

وصراعاً ما بين جسم وروح

.................في شتيت الآمال والأهواء

ولو ان الأنام قد ضمنوا الخلد

...................او ان الأرواح محض صفاء

لتساموا عن الخطيئة كالقيد

...................وعاشوا معيشة الطلقاء

**

وغناء على الخلود غرام

................هو رمز ووصلة للبقاء

وهو يعلو بالروح عن خطل الجســ

...............ــم ويضفي عليه ثوب الضياء

هو نور وما الخطيئة إلا

.............ظلمة أو حليفة الظلماء

وهو يسمو عن الزمان وما قد

..................يقتضيه الزمان من أخطاء

هو خلد ، وما الخطيئة إلا

...................بعض وحي الفناء للأحياء !

.

.

الانتظار الخالد / 1934

أنا بانتظارك ما أبالي *** رضي الهوى حكم الجمال !

غيبي إذن أو فاحضري *** أنا قانع في كل حال!

راض بأحلامي التي *** تضفى عليك حلى الجلال

لست الملومة إنني *** أنا رشت أجنحة الدلال

ما للجمال متى بدا *** إلا التخشع في ابتهال

،

أنا بانتظارك في الشرو *** ق ، وفي الغروب وفي الزوال

أنا بانتظارك حين أصـــ *** ـــحو ، طلعة مثل اللآلي

أنا بانتظارك حين أغـــ *** ـــفو ،طائفا مثل الخيال

وإذا قربتِ تطلعت *** نفسي إلى القرب الموالي

وإلى التمازج بيننا *** حتى نحور إلى الكمال

هو ذاك سر تنظّري *** أبدا إليك ، فما احتيالي ؟

.

.

الحب المكروه / 1934

كرهتك أيها الحب *** كراهة محنق غاضب

وضج بهولك القلب *** وما تبلوه من واصب

،

كرهتك حيرة كبرى *** جحيما كله حرق

كرهتك لهفة حرّى *** وشوقا كله نزق

،

كرهتك ريبة فينا *** وفي الدنيا وفي الناس

نكذب ما بأيدينا *** ونسمع همس وسواس

،

كرهتك غلة ظمئت *** ولا ري ولا ماء

ووقدتها قد اشتعلت *** وفي التلطيف إذكاء

،

كرهتك سهد أجفان *** وصحو في الدجى المبهم

كرهتك مهد أشجان *** ومذكي وقدها المضرم

،

كرهتك شغلي الشاغل *** وآمالي وآلامي

وماضي العمر والآجل *** وليلاتي وأيامي

،

كرهتك دورة الزمن *** بلا حد ولا فاصل

وصلت الصحو بالوسن *** بإحساس لنا شاغل

،

كرهتك لست موقوفا *** على حب يقيدني

كرهت العيش ملهوفاً *** على أمل يسوّفني

،

وداعا ايها الحب *** كرهتك فارتحل قدما

كرهتك لم يعد قلب *** بصدري يحمل الألما

،

سأحيا خامد الحس *** فلا حب ولا أمل

ستخبو شعلة النفس *** ويمضي ذلك الأجل!

.

نكسة / 1934

خفقت يا قلبُ ! .. ماذا ؟

أنكسة من جديـــــد ؟............

توثب الحب هـــذا

بعد الهدوء المديـــد............

وبعد فك القيود !

**

يا قلبُ ماذا أثارك ؟

وهاج فيك الحنينـــا ؟..........

وقد خلعت أسارك

وعشت كالناس حينا............

أو عشت كالهادئينا !

**

لقيتها يا فؤادي

.............أنكسة الحب لقيــا ؟

كالنار تحت الرماد

.............ما يلبث الحب حيا

ما اعجب الحب دنيا !

**

يا قلب فاذكر عذابك

...........في الشك أو في اليقين

فهل نسيت اضطرابك ؟

.............بين القلى والحنين

وبين سود الشجون ؟

**

وبين إن قيل غابت

..........أو قيل : الآن تأتي !

وبين فوز مباغت

...........أو حسرة بعد فوت

وحيرة كل وقت!

**

أراك يا قلب لمّا

...........تسمع ، ولم تتذكر

وما تحاول كظما

...........لخفقك المتعسر

وما تريد التدبر

**

عليك يا قلب وزرك

.........فاخفق إذن بل فخاطر ؟

فليس يجديك حذرك

..........إذا هممت تحاذر

خاطر بنفسك خاطر !

.

.

على أطلال الحب / 1934

تفرّد ذلك الطلل *** وطاف بركنهِ الوجل

يغشّي اليأس صفحتهُ *** ويبرق تحته الأملُ

وتهمس حوله الذكرى *** فتلمع بينها الشعلُ

جفاه أهله مللاً *** فخيم فوقه الملل

عزيز عهدهم فيهِ *** عزيز أنت يا طللُ

،

بناه خير بنّاءٍ *** بناه الحب مبتدعاً

وبث على جوانبهِ *** مفاتن تفتن الورعا

وأطلق حوله سحراً *** يبث الشوق والولعا

وأنشد باسمهِ شعراً *** من الآمال منتزعا

وظلل أهله الأملُ *** فماذا جدّ يا طلل ؟

،

خريف باكر حلا *** خريف الحب والعمر

فحطم كل شامخة *** على الأحداث والدهر

وعطل كل فاتنة *** من الإغراء والسحر

وأبطل كل ساحرة *** وأسكت نغمة الشعر

فعاد بناؤه طللا *** فويحك أيها الطلل!

،

دلفت إليه ملهوفاً *** تحث حنيني الذكرى

فأطرق لا يحدثني *** وأرسل زفرة حرى

وجدت لوقدها لذعاً *** كأني ألمس الجمرا

وتاهت نفسي الولهى *** وأسرت روحي السكرى

وقلت وقد نزا ألمي *** " فداك الكون يا طلل! "

.

.

]وطنيـــات [

.

البطل /1931

في مثل هذه الغمرات القاسية ، التي تعانيها الأمة المصرية الآن ، يمر كثير من الحوادث الجسام دون أن يثير انتباها لأن الأمة في شغل عنه بما هي فيه ، في شغل بالنكبة العامة عن النكبات الجزئية .

من ذلك وفاة السيد " العبيد " رئيس جمعية اللواء الأبيض في السودان ، ذلك الشاب الجريء الذي ألف جمعيته على إثر إخراج الجيش المصري من السودان سنة 1942 وقام يناضل عن صلة شطري الوطن المفدى ، ووحدته المقدسة ، في جرأة عجيبة ورجولة كاملة ، وبطولة فذة . غير عابئ بسجن مرهق شديد ، ولا بتنكيل وحشي قاس بلغ من وحشيته وقسوته أن يسجن الفقيد وهو " سياسي " في سجن رطب في بقعة نائية من السودان تحيط بها الأحراج والمستنقعات ، ويطوف بها طائف الفناء الرهيب ، وتحوم حواليها الحشرات القتالة ، ثم لم يكتف الاستعمار بذلك " لاستعمار الذي يمثل المدنية !!! " بل أضاف إليه تشغيل هذا البطل ورفاقه في قطع الأشجار ورصف الشوارع حتى وهنت قواهم وأصابت الشهيد الحمى فمات في سحنه تحوطه مظاهر القسوة بلا لوحشية ، بعد سبع سنوات كاملة لم تهن فيها نفسه ، ولم يخضع للإذلال.

هذا هو العبيد الذي يموت دون أن يشعر بموته في مصر حد ، والشباب المصري ، الشباب الناعم ، الشباب المشغول بالتطرية والزينة والحقارات النفسية الوضيعة ، الشباب الذي فقد رجولته و مميزاته ، ونسي ماضيه ووقفاته . هذا الشباب في شغل بما هو فيه من متاع ضئيل عن الانتباه للبطل الشهيد وذكراه ، بل عن الانتباه لل أمر ذي بال في الحياة !

وهذه القصيدة نفثة من شاب يقضي بها حق الشباب وهذا ما يستطيع فرد أن يعمله ، فإذ كان بالشباب الآخرين حياة تعمل شيئا للذكرى كان بها ، وإلا فحسبي هذه النفثة الحرّى .

.

سجلي يا أرض وارعي يا سماء

................مصرع الجبار بين العظماء

مصرع الجشّام ما إن ينثني

................أو تدك الأرض أو تطوى السماء

يقف الهول لديه خاشعا

..................وهو يلقى الهول بسّـــام الرضاء

**

نال منه الموت ما لم يستطع

..................نيله الغصّاب في سبعِ وِلاء

عذبوه ونفوه ومضوا

....................في فنون الظلم ما الظلم يشاء !

أرسلوه حيث واد الموت إذ

...................لا يرى الأحياء أطياف الرجاء

في مباءات تدوّي بينها

...................جلجلات الموت في هول الوباء

تصفر الريح بها معولة

..........................تنذر الأحياء فيها بالفناء

وأرادوا والمنايا حوله

......................أن يذلوا فيه تلك الكبرياء

فمضى يأنف في سخرية

........................عيش ذل هو والموت سواء

لم يقلها : لفظة ، لو قالها

..................لقي النعماء منهم والولاء !

**

ليت أهل الأرض يدرون بما

................صنع الغُصّاب بالنفس البراء

أترى أنعمتها وحشية

..................في ظلام الكهف لم تدر الضياء ؟

أظلِمُ الوحشَ إذا شبهتهُ

...................بوحوش الغرب تمتص الدماء!

يفتك الوحش ليحيا بينما

...................يفتك الغربي حبا في الثراء !

يا شباب الشرق هذا موقف

...................تقشعر الأرض منه والسماء

ودم المختار ما زال نديّـــ

....................ــاً يستحث الخانعين الضعفاء (1(

وضحايا الأمس والأمس نذير الـــ

..........................ـــيوم يدعو من يجيبون الدعاء

**

يا شباب الشرق والشرق إذا

................لم تكونوا جندهُ ضاع هباء

لا يرد الحق قول فارغ

................تذهب الريح به عصف الهواء

إنما يجدي جهاد عارم

.................وخصام ونضال وعناء !

إنما يجدي إذا نبعثها

.................كهزيم الرعد تدوي في الفضاء

إنما يجدي إذا ما أيقنوا

.................اننا كالغرب قوم أقوياء!

******

يا شباب النيل ماذا ؟ ويحكم!

................أفأنتم حيث يحييكم دعاء ؟

يا شبابا ناعما مستأنثاً

................كذوات الخدر في ظل الخباء !

يا شبابا تافهاً محتقراً

.................تأنف الأجيال منه في ازدراء (2(

يا شبابا همه لذّاتهُ

.................فهو يحيا بين كأس وخناء

يا شبابا قصرت آمالهُ

.................كخشاش الأرض مرماهُ الغذاء

يا شبابا نكب النيلُ بهِ

..................في الأماني والتعلات الوضـــاء

يا شباب النيل هل أبصرتمو

.............في فتى السودان كيف الشهداء؟

عمر الإيمان بالحق لهُ

.................مجهة حرّى فجادت بالفداء

يا شباب النيل هذا مثلٌ

.................لجلال الموت في ظل الإباء

ما يقول الشعرُ في هذا وما

...................حيلة الشعر؟وما طوق الرثاء ؟

موقف جلّ عن الشعر فهل

..................يكمل التاريخ بدء الشعراء ؟

:(1)هو الشهيد البطل عمر المختار الطرابلسي وقد اعدمه الطليان رميا بالرصاص مع أنه مجاهد مستقل ، مخالفين في ذلك كل تقاليد المدنية

:(2)يسر الشاعر أن يسجل الآن نهضة الشباب ومساهمته في المشروعات الوطنية لمشروع القرش وسواه

.

.

إلى البلاد الشقيقة / 1931

-بمناسبة ثورة فلسطين وحوادثها الدموية-

عهدٌ على الأيام ألاّ تُهزموا

.............فالنصر ينبت حيث يهراق الدم

في حيث تعتبط الدماء فأيقنوا

................أن سوف تحيوا بالدماء وتعظموا

تبغون الاستقلال ؟ تلك طريقهُ !

...................ولقد أخذتم بالطريق فيمموا

وهو الجهاد حمية جشّامة

.................ما ان تخاف من الردى أو تحجمُ

إن الخلود لمن يطيق ميسّرٌ

....................فليمضِ طلاب الخلود ويقدموا

وطن يقسّم للدخيل هدية

................فعلام يُحجم بعد هذا محجمُ ؟

الشرق يا للشرق تلك دماؤه

.................والغرب يا للغرب يضريه الدمُ

الشرق ويح الشرق كيف تقحّموا

...............حرماته الكبرى وكيف تهجموا ؟

غرّتهمو سنة الكرى فتوهموا!

..................يا للذكاء فكيف قد غرتهمو ؟

سنة ومرت والنيام تيقظوا

.................فليعلموا من نحنُ أو لا يعلموا!

اليوم فليلغوا الدماء وفي غد

...................فليندموا عنها ولات المندم

**

أبطال الاستقلال تلك تحية

................من مصر يبعثها فؤاد مفعمُ

إخواننا في الحال والعقبى معاً

.....................إخواننا فيما يلذ ويؤلم

مصر الفتاة وما تزال فتية

..................يهفو إليكم بالقلوب وتعظم

في كل مطّلع وكل ثنية

.....................نار من الشرق الفتي ستُضرم

.

صوت الوطنية /1932

-بمناسبة موافقة وزارة وبرلمان صدقي على مشروع خزّان جبل الأولياء-

ضجّت الدنيا فماذا ترتقب

...............مصر من أهوالها حتى تثب ؟

ضجت الدنيا من الهول الذي

................ترك الدنيا جميعاً تضطرب

فار ماء النيل أو صار إلى

...............حمم أو نقمة منه تصب

وأرى مصر تعاني سكرة

................وإذا تصحو تولت تنتحب ؟

مصر يا مصر وما يجدي البكا

....................غضبة يا مصر كالليث وثب

غضبة يا مصر . أو . لا . فادرجي

..............في قيود الذل وارضي بالحرب

***

أ فهذي مصر أم ماذا أرى ؟

................أمة أخرى وشعب منقلب !

أم ترى الأيام دارت دورة

................فإذا الأسد شياه تحتلب ؟

ما عهدنا مصر تُمطى ، ظهرها

................كذلول النوق من شاء ركب !

المطايا حين تخشى حتفها

.................تُعطب السائق من دون العطَب !

**

مصر لمّا غضبت غضبتها

...............لم يرُعها الغرب لما أن غضب

أرسلتها صيحة داوية

..................كهزيم الرعد جيّاش اللجب

أنصت الغرب لها واستمتعت

..................أذن العالم من خلف الحجب

وأحس الظلم منها رعدة

...................تتمشى فيه كالرعب يدب

لم ترعنا هجمة منه على

..................رسل الحق غشوما يحتطب

سالت الأنفس فيها فارتوت

....................تربة المجد بها بعد الجدب

ووعاها الدهر في آثاره

..................جذوة حمراء في رأس الحقب

**

هذه يا مصر ذكرى فاذكري

...................ما تولى وادأبي خير الدأب

أرجعي الكرة لا هيابة

.................واغلبي بالعزم أشتات النوَب

.

.

ذكرى سعد / 1932

خمس مضين تجنّك الأستارُ

..................فيها وقبرك كعبة ومنار

في كل مطّلع وكل ثنية

..................ذكرى تزاحم حولها الأفكار

باق على عنت الخطوب وعسفها

....................مجد تقاصر دونه الأنظار

تتصرم الأيام وهو موطد

..................يعنو الخصوم لديه والأنصار

وكأنه علم يُنيفُ على الورى

....................ترنو إليه وتخشع الأقدار

وتضاءل الأشخاص عنه ويستوي

....................في ظله الأقزام والجبار!

**

ماذا يطيق الكون أن ينساه من

..................سعد ؟ وكل عظيمة تذكار ؟

هل كان إلا في العظائم موئلاً

................في يوم تشخص عنده الأبصار

تدوي حوليه الخطوب وتنثني

...................كأشم يعصف حوله الإعصار

فإذا مضى الهول المروّع وانجلت

....................غمراته وتراخت الأخطار

أبصرت تحت الهول بسمة هادئ

................راض أشم كأنه المقدار

روح تجل عن الحياة وأهلها

..................وصروفها وتحفها الأسرار

روح البطولة والبطولة طلسم

...................كالسحر تدهش عنده وتحار

أ فذاكر أنت الجموع وحشدها

.................لما دعا سعد الجموع فثاروا ؟

ماذا أ بركان تفجر أم ترى

................موج أشم أحم ؟ أم تيّار ؟

سحر البطولة أو شواظ لهيبها

...................يذكي النفوس فكلها مغوار

ذكرى تقدسها البلاد كريمة

..................وتصون روعة مجدها وتغار

هي بعض تاريخ البلاد فلم تكن

...................تاريخ فرد ينطوي ويثار!

ذكرى يحف بها الجلال وتنزوي

..................بإزائها الأحقاد والأوزار

ذكرى تطل كأنها قدسية

................فالكل تحت ظلالها أبرار

.

.

مأساة البدارى / 1932

ليس في مصر من لا يذكر هذه المأساة الوحشية التي مثلها مأمور البدارى المقتول مع أهالي البدارى عامة ، وسجين البدارى خاصة ، وذلك الموقف العجيب الذي وقفته منه وزارة العهد المظلم البائد ، وقد حالت قيود ذلك العهد البغيض دون نشر هذه المقطوعة وسواها

،

ما ذلك العرض الشريف يثلم ؟

..................ويسيل -من حنَق - حواليه الدم ؟

ومن الذي سام النفوس مهانة

................يأبى ويأنفها الذلول الأعجم ؟

من كلم ما عوراء تكشف جهرة

.................ويهان منها ما يصان ويكرم

وكرامة يشتط في تحقيرها

................نذل حقير القلب لا يتأثم

في أيما بلد نعيش ؟ وأيما

................عهد يمر على الكنانة مظلم ؟*

عهد نسام الخسف فيه ونبتلى

................نقما إذا قمنا نضج وننقم

وحشية كشف الزمان حجابها

................لا بل أشد من الوحوش وأظلم

الوحش يفتك جائعاً ويعف عن

..................فتكاته إذ ما يعب ويطعم!

**

يا أيها الرفقاء بالحيوان لا

...............تنسوا أناسيّا تئن وتألم

في مصر قد تلقى الكلاب رعاية

..................بينا يُحقّر شعبها ويُحطّم!

في مصر لايلقى المسيء جزاءه

..................لا بل يكافأ دونه ويكرّم

في مصر ما لا يحفظ التاريخ من

......................فحش يعج بها وفحش يكتم

في مصر ! لو في مصر بعض كرامة

...................غضبت وفار على جوانبها الدم!

**

ماذا يعز على الهوان نصونه ؟

................لم يبق من حرماتنا ما نكرم

الموت ؟ يا للموت ! أشرف شرعة

...................مما نسام به ومما نوسم

---

*نعت مقطوع مرفوع في موضوع الذم

.

.

.

طليعة الضحايا / 1933

"سجلي يا أرض وارعي يا سماء (1(

................مصرع النسرين في جوف الفضاء (2(

سجليه بمداد الفخر لا

.............بل يفيض من دماء الشهداء

مصرع الآساد في آجامها

..............لا كما تلقى مناياها الظباء!

سجليها روعة قد مزجت

..............من أسى الحزن،ومن فيض العزاء

وضحايا المجد في مذبحة

................يلتقي الياس عليها والرجاء!

وهيَ القربان يفدى أمة

................إيه ما أكرمه هذا الفداء

**

دوما والريح في معترك

..............صاخب الأنواء ، مشئوم العواء

وظلام في ظلام مبهم

.............يخشع الهول لديه والفناء

طامس الآثار مجهول الخطى

................لا دليل ، لا شعاع ، لا ضياء

وهما في جوفه تحدوهما

...............همة قعساء تأبى الانزواء

يلطمان الريح إما لطمت

................ويروغان كأطياف الهواء

أشربت نفساهما حب العلا

..................وأراداها حياة في السماء

قد أرادا ، وأراد الله ما

............كان ؛ سبحانك تمضي ما تشاء

**

إيه يا مصر عزاء إنما

.............أنت أولى بالتحيات الوضاء

قد بذلت اليوم ما تبذله

................أمة شاءت حياة النبلاء

أمة قد أعلنت قسمتها

.................من صميم المجد بين القسماء!

ودم يهراق في تضحية

..................سوف يسري نخوة بين الدماء

:(1)هذا البيت للمؤلف في قصيدة سابقة

:(2)هما المرحومان حجاج ودوس شهيد الطيران

تمـــّــــت